العهد الوثيق

لمن أراد سلوك أحسن طريق

تأليف

صاحب الفضيلة محيي السنة العارف بربه وقطب الأقطاب

محمود محمد خطاب السبكي

المتوفى يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ / يونيو سنة ١٩٣٣

عمه الله بالرحمة والرضوان

تحقيق

محمود الطيب بن محمد أحمد شوالي

بإشراف حفيد المؤلف

د. عبد العظيم حامد خطاب

العهد الوثيق

لمن أراد سلوك أحسن طريق

تأليف

صاحب الفضيلة محيى السنة العارف بربه وقطب الأقطاب

محمود محمد خطاب السبكى

المتوفى يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ / يوليو سنة ١٩٣٣

عمه الله بالرحمة والرضوان

تحقيق

محمود الطيب بن محمد أحمد شوالى

بإشراف حفيد المؤلف

د. عبد العظيم حامد خطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذى بذكره ارتقى العارفون ، وبفضله نهج السالكون ، وبرضاه استظل الواصلون ، القائل : ﴿ **فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** ﴾ والصلاة والسلام على إمام المتقين وخاتم النبيين ، ودليل الفائزين ومصباح الهدى للناس أجمعين .

أما بعد : فهذا كتاب هام من مؤلفات الشيخ الإمام محمود محمد خطاب السبكى ، نفذت طبعاته من قبل ، وظل كذلك لمدة طويلة ، وتناثر الرأى حول موضوعه ، وإعادة طبعه ، فرأى يرى أن الإمام رضوان الله عليه ، وإن بدأ متعبداً صوفياً ، فإنه انتهى عالماً معلماً ، وكان يترسم سنة رسول الله ﷺ ، يعمل على إحياء معالمها ، وإزالة ما تعلق بالعبادة من مبتدعات ، وإبراز الأدلة الواضحة تدعيماً لمنهجه فى الدعوة إلى الله تعالى ، والحث على وجوب الاهتداء بما ثبت عن رسول الله ﷺ ، فلا ينبغى أن يتعلق الناس بموضوع هذا الكتاب . الذى تظهر منه نوازع صوفية فى وقت انطمس فيه معالم الاتجاه الصوفى أو كاد ، ولم تعد هناك رسوم جلية تفرق بين ما هو حق وما هو دخيل .

إذ لا يرى الناس شيئاً سوى رسوم وأعلام ومشيخات ، وسلوك غير سوى لمن ينتظمون فى تلك الطرق الصوفية المتعددة الأسماء والألوان ، فلا يلزم مساندة هؤلاء فى تعلقهم بالصوفية أو تدعيم ما يذهبون إليه ، وصدور هذا الكتاب سيدعم موقفهم ، ويؤيد اتجاهاتهم ، بدعوى أن هذه آراء الشيخ الإمام الذى يبدو من مظاهر دعوته محاربة أرباب الطرق ومدعى التصوف وشن الغارة عليهم .

ونحن فى وقت اختلطت على الناس الأمور . فيلزم العناية بأصول الدين وأحكام الشرع والتعلق بالدليل النقلى من الكتاب والسنة المحمدية . وعزّز هذا الاتجاه ، أن دعوة الجمعية الشرعية فى عهد الأمام الأمين خليفته من بعده وعهد الإمام يوسف أمين خطاب كانت فى دور النمو ، فلا ينبغى أن تشوب دعوتها شائبة ، بل يلزم أن تظل خالصة المنهج واضحة المعالم مستقلة بذاتها وبمنهجها معتمدة على كتاب « الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق » وما ورد فيه من أحكام متعلقة بالسنة الثابتة ، ومن ثم لم تجر طباعة هذا الكتاب فيما مضى ، ولم يتم نشره على أوسع نطاق .

أما الآن وقد تدعّم مركز الجمعية الشرعية فى أنحاء البلاد ، وظهر وضوح منهجها ، وانتشرت فى أنحاء البلاد فروعها

ومساجدها ، بحمد الله وتوفيقه ، وعرف القاصى والدانى ثبات أساس الدعوة إلى السنة والعمل بالأحكام الشرعية التى رسم معالمها الإمام الأول الشيخ محمود خطاب السبكى ، فلا ضير أن ينشر هذا المؤلف ، لأنه ما من أحد من الفقهاء والباحثين إلا ويثنى على هذه الدعوة واستقامة طريقها وخلوص سبلها من الأهواء والأغراض ، وعزوفها عن مسايرة المبتدعين ، لأن هذه الدعوة قامت على الحكمة والموعظة الحسنة ، وقد اطمأن الناس إليها ، واعترف الجميع بأن منهج الجمعية تعريف الناس بربهم وبسنة نبيهم ، دون نظر إلى المناصب والمغانم وزخرف الحياة الدنيا .

ومن هنا كان من الواجب علينا أن ننشر مؤلفات الإمام محيى السنة ولا نكتم بعض علمه أو بعض مؤلفاته ، وفى هذا الاتجاه كان علينا أن نصدر كتابين . كان قد توقف نشرهما ، ولكل منهما أسباب وظروف :

الأول : كتاب : « إتحاف الكائنات فى بيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات ، ورد شبة الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات » .

وكان الإمام قد طبع هذا الكتاب على نفقته بمطبعة الاستقامة بالقاهرة فى ذى الحجة سنة ١٣٥٠هـ أى قبل وفاة

المؤلف رحمه الله تعالى بسنة وشهرين ، وهو كتاب يوضح منهج أهل السنة فى العقيدة سلفهم وخلفهم . ونفذت الطبعة الأولى وظل كذلك فترة ، وتطاول بعض المضللين فزعموا أن الشيخ رجع عن رأيه فى هذا الكتاب ، استجلاباً لخواطر المجسمة والمشبهة الذين يزعمون أن الله فى السماء بدعوى أنهم سلفيون والشيخ الإمام يقول برأى الخلف ، وهذا الرجوع لا يُتَصور لأنه آخر كتاب طبعه فى حياته .

فنشرنا الطبعة الأولى مصورة بالأوفست فى عدد محدود حتى نرد على الزاعمين المضللين ما أثاروه من شبه . والكتاب يوضح رأى السلف والخلف فى المتشابهات ، ثم بدأت الطبعة الثانية بإشراف الإمام يوسف ، ولكن لم تكتمل طباعة وتصحيحا إلا بعد وفاته رحمه الله ، فاستكملناه وألحقنا بتلك الطبعة مقدمة طبعة الأوفست التى ذكرنا فيها أن الشيخ الإمام يقول بمذهب السلف فى المتشابه من الآيات والأحاديث ، مع ما أورد من أقوال الخلف.

كما قال الإمام رحمه الله تعالى فى « الدين الخالص » : إن الأدلة القطعية والبراهين العقلية والنقلية ناطقة بأنه تعالى ليس له جهة ، وليس جالساً على العرش ، ولا حَالاً فى السماء ، ولا غيرهما ، ولا يتصف بالتحول والانتقال ، وليس جسماً ولا جوهراً ولا عرضاً ولا غير ذلك من صفات الحوادث .

وقال : وما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهة فهى مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فالسلف يؤمنون بها كما وردت ويفوضون علم معانيها إلى الله تعالى ، والخلف بينوا المعانى بما يدل على اللفظ العربى مع تنزيه الله تعالى، ومذهب السلف أسلم لاحتمال أن الله تعالى أراد معنى فى الآية على غير ما فسر به الخلف ، وهذا الكتاب شوكة فى حلق من يتجاوز الحق فى أمور العقيدة ، ويصحح المسيرة وبالله التوفيق .

الثانى : « كتاب العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق » الذى نقدم له هو ثانى كتاب سبق التردد فى نشره حتى لا يفهم أن الجمعية الشرعية تؤيد مدعى التصوف وما يصنعون ، ولكن تصدى للتعليق عليه الأستاذ محمود الطيب وهو شاب ذاق طعم العبادة وفى مقدمته التالية شرح لأصول هذا العلم المتعلق بالذكر والطرق، ورد ما اتهم به الشيخ الإمام من انحياز لآراء الصوفية ، ونرى أن العهد الوثيق يرسم الطريق لإرشاد من يريد العبادة إلى حسن التوجه القلبى لله والتوكل عليه وإخلاص النية مع الالتزام بالسنة ، فلا نرى معارضة بين هذا الكتاب وبين السنة .

وقد علق المحقق فى المقدمة ، وفى كثير من مواضع الكتاب إلى ما يدفع شبه الانقياد المطلق لشيخ قد لا يكون على قدم صدق

مع الله ، ويؤكد ما أورده المؤلف من أن الشيخ الذى ينبغى أن يتصدى لتربية تلاميذه أن يكون مخلصاً عمله لله ، متجهاً إليه ، مراعياً لتعاليم الكتاب والسنة مؤدياً الفرائض والنوافل دائم المراقبة لله تعالى .

فلا معارضة بين مذهب أهل السنة وهو مذهب المؤلف ، وبين نشر هذا الكتاب كطريقة لتربية سلوك المريد ورسم طريق الإنابة له والعمل على الترقى ، حتى ينال مقام القرب من الله تعالى ، وهذا هو مقصود العبادة ، فإذا علم منهج أهل السنة والجماعة فلا بأس من نشر هذا الكتاب .

وأرجو أن لا يثير هذا النشر أقاويل جديدة وادعاءات لا محل لها ، والله أسأل أن ينفع به ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى ، وأن نكون تلامذة صالحين وخلفاً لهذا الإمام الورع العالم العامل المربى العابد الصادق ، وأن يرضى الله عنا معه ولا يحرمنا أجرهم ولا يفتنا بعدهم إنه على ما يشاء قدير ، هو مولانا ، نعم المولى ونعم النصير .

القاهرة : أول المحرم ١٤١٤ هـ

دكتور / عبد العظيم حامد خطاب
أستاذ سابق بجامعة القاهرة فى التاريخ الإسلامى
وحفيد المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يوافى نعمه ويكافئ مزيده ، ويستجلب عفوه ويستمطر رضوانه ، والصلاة والسلام على المخصوص الأول ، والفرد الجامع المكمّل ، سيدنا محمد عين الرحمة الربانية ، ومنبع المعارف اللدنية ، ومظهر الوجود وعين الجود فى السر والعلانية ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. حق قدره ومقداره العظيم.

أما بعد ...

فقد يسّر الله عز وجل للعالمين أسباب هدايته ، وأحلّ من أحبّ فى مقام الدعوة إلى حضرته ، وندبَنَا تبارك وتعالى أن نلزم هؤلاء الصفوة من عباده الصالحين وأوليائه المقربين ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [1] وما ذاك إلا لأنهم الجليس الصالح الذى تتنزل به الرحمات ، وتُنال به القربات ، وكيف لا والقوم أولياؤه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فهم فى جنة معرفته فى الدنيا يتقلبون وفى جنة شهوده فى الآخرة منعمون .

فيا سعادة عبد لاذَ بركابهم ونزل بساحهم وخيّم بواديهم ، فهناك يلقى من فنون الكرم والفضل ما لا يُكيِّفُه عقل ، ويُحصّل بسر كينونته معهم بركة أنفاسهم ، فيسرى فيه روح صدقهم وكمال إخلاصهم ،

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٩.

القسم الأول :
المدخل إلى النص

الإسلام والتصوف

في محاولة لإدراك العلاقة بين الإسلام والتصوف وجب علينا أن نتعرّف ابتداءً على أصول المنهج الصوفي ومِنْ ثَمّ نُقَايس مدى تباعده أو تقاربه أو تطابقه مع منهج الإسلام الحنيف .

وفي محاولة استقراء سريع وعميق لأصول هذا المنهج نجد أنه عادة ما يعتمد المنهجية التالية :

١ ـ حُسْنُ الفهم عن الله ورسوله ﷺ .

٢ ـ إعادة ترتيب الأولويات ترتيباً صحيحاً بحسب ما فُهم من الشرع الصحيح .

٣ ـ التوفيق لاستعمال الدواء المناسب لعلاج أدواء القلب .

٤ ـ تحقيق معنى الفرار إلى الله بتمام الاستسلام والتوكل عليه .

وإذا ما أردنا تفهُّما أوضح لهذه النقاط فإننا يمكن أن نستقيها من حياة الصوفي التطبيقية فلنعايشه في تجربته الروحية على النحو التالي :

هاهو ذا يُنصت بآذان قلبه إلى دعوة ربه ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١) ، فتباشر دعوة الجليل جل جلالَه أعماق نفسه ، فيوطِّن نفسه على الفرار من نفسه إلى ربه ، ومن الخلق إلى خالقه ، ومن الكوْن إلى مُكونِه ، ويكون فراره حينئذ هو عين الهجرة إلى الله تعالى التي

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٠ .

أعلنها خليل الرحمن عليه السلام إذ قال : ﴿ إنّى مُهَاجرٌ إلى ربّى إنّهُ هُوَ العَزِيزُ الحكِيمُ ﴾[1] .

وفي سبيل تحقيق ذلك فإنه يَعْقِل ابتداءً لنصيحة غالية عن سيد الحكماء رسول الله ﷺ : « ألا وإنَّ فـي الجسَد مُضغَةً إذا صلَحت صلَحَ الجَسَدُ كُلُهُ ، وإذا فَسَدتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُهُ ألا وهِيَ القَلْبُ » [2] فكأن الرسول ﷺ وضع أصبعه على طبِّه ودائه وسعده وشقائه ، فصمم المريد أن يجعل كل همّه إصلاح قلبه ... فَتَلَمّس لذلك طبيباً حاذقاً لأدواء قلبه ومستشاراً صادقاً يُسديه نُصحه ، إعمالاً لقوله تعالى ﴿ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾[3].

فاعتمد هذا الشيخ له علاجاً ناجعاً وطبّاً نافعا .. فألزمه ذكر ربه رعايةً لقوله تعالى : ﴿ ألا بذكرِ الله تطْمئنُ القُلوبُ ﴾[4] وأطلعه شيخه على نصيحة الطبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم حيث قال : « إنّ لكل شىء سقالةً ، وإنّ سقالة القُلوب ذكرُ الله » [5] وتمادى صلى الله عليه وسلم في الإيضاح فمَثّل قائلا « مثلُ الذى يذكرُ ربهُ والذى لا يذكرُ ربهُ مثلُ الحيِّ والميِّت » [6] ،فانتصح واستفاد واجتهد وأناب .

(١) سورة العنكبوت آية : ٢٦ .
(٢) رواه البخارى فى صحيحه (١٥٣/١) . فتح البارى .
(٣) سورة الفرقان آية : ٥٩ .
(٤) سورة الرعد آية : ٢٨
(٥) رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٣٩٦/١) برقم (٥٢٢) وعزاه المنذرى فى الترغيب (٣٩٦/٢) لابن أبى الدنيا والمصنف من رواية سعيد بن سنان . وسقالة تعنى صقالة ، من الصقل والتهذيب.
(٦) رواه البخارى فى صحيحه (٢١٢/١١) فتح البارى لابن حجر .

فدبّتْ العافية فى أوصال نفسه فازداد تعلقاً بقدرته وتمسكا بأسباب برّه، وانخلعتْ نفسه شيئاً فشيئاً من أوصالها المذمومة واستبدلها بأوصاف محمدية محمودة ، وكرّت وارادت الذكر على نفسه الأمارة فترقت إلى لوامة ثم إلى ملهمة إلى مطمئنة إلى راضية مرضية إلى كاملة ، ومن وراء ذلك مجال للقول فسيح بعد أن تقلب ذلك العبد فى مقامات علم اليقين (١) وعين اليقين (٢) وحق اليقين (٣) وبلوغه هذا المقام فإن كيانه يهتز قائلا : ﴿ أسْلمتُ لرب العالمين﴾ (٤) ويُفصّلها لسان حاله فيقول : ﴿ إن صلاتي ونُسكي ومحيْاى ومماتى لله ربّ العالمينَ لا شريكَ لهُ وبذلكَ أمرتُ وأنا أولُ المسْلمينَ ﴾(٥) .

تلك هى خُطة الصوفى الحق ومنجية سلوكه .. فأين الخروج عن النص ؟ وأين العدول عن المنهاج الإلهى ؟ إن المنصف فى هذه القضية لا يسعه إلا أن يُسلّم بسلامة المقصد وتطابق المنهج مع منهج الدين الحنيف !!!



---

(١)(٢) قال تعالى ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين ﴾ (سورة التكاثر آية ٥ ـ ٧).

(٣) قال تعالى : ﴿ إن هذا لهو حق اليقين ﴾ (سورة الواقعة آية : ٩٥)

(٤) سورة البقرة آية : ١٣١

(٥) سورة الأنعام آية : ١٦٢

ترجمة المؤلف

هو الشيخ المحدِّث العلامة ، والأصولى الفقيه الفهّامة ، والصوفى الكبير ، والشريف الحُسيني النبيل ، جبل السنة ، ومرشد الأمة الإمام : أبو محمد محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السُّبكى الأشعرى المالكى الخلوتى رضى الله عنه وأرضاه .

وأمه هى السيدة آمنة بنت محمد بن حسن ... ينتهى نسبها إلى الإمام على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن الإمام علىّ زين العابدين بن سيد الشهداء السبط الزّكى الإمام أبى عبد الله الحسين بن سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء البتول رضى الله تعالى عنها وصلى الله على أبيها المصطفى سيد الوجود وعلم الشهود ومعدن الكرم والجود .

وشاءت العناية الإلهية أن تُدرك أهل الأرض بغيثها المدرار فأبرز الحق عز شأنه من علمه القديم إلى حيِّز التكوين ذات هذا الوليد فى يوم الخميس لتسعَة عشر خلون من ذى القعدة سنة ١٢٧٤ من هجرة النبى المعظم ﷺ[١]

وجاءت ولادته رضى الله عنه يُمناً وسعداً وعزاً للإسلام والمسلمين ، ومسيرة الشيخ فى الحياة تشهد بذلك ، وتُظهر لنا فى الوقت ذاته كيف

(١) يوافقه فى التقويم الميلادى الأول من يوليو سنة ١٨٥٨ ، وقد ولد رضى الله عنه ببلدة سبك الأحد مركز أشمون محافظة المنوفية بمصر المحروسة .

يُنفذُ الجليل مُرادهُ ويُحقق كلماته ، وكيف يرسم حياة عبد من عباده الصالحين وأوليائه المقرّبين ، فلقد نشأ رضى الله عنه نشأة قويمة فى كنَف أسرةٍ عريقة فى الفضل والشرف فغرست فيه منذ خطواته الأولى حبَّ التديُّن وفضيلة الإخبات لله تعالى ، فحُفظت عليه فطرته طاهرة نقية ، وسرعان ما اشرأبت روحه لتنال حظّها الرَّوحى الذى قُسم لها فى الأزل، فسلك طريق الله تعالى على يد الشيخ « أحمد بن محمد أبى جبل السُّبكى » الخلوتى رحمه الله تعالى .

ولقّنه الشيخِ الأوراد والأذكار ومن ثمّ أدخله الخُلوةِ ومن ثَمّ ألبسه الخرقة ، فأُفعِمَ قلبه بالأنوار واستنار سِرُّه بالأسرار وصُقلت مرآة قلبه بتوالى واردات التجليات العرفانية فعاين الحقيقة كما هى فى الحقيقة ، ووقف على عرفات المعرفة ، وفرّ إلى الحق مجيبا إياه : لبيك لبيك لبيك.

وأيقن شيخه أن غرسه آتى أكُله بإذن ربه ، فأجازه [1] فى طريق القوم فتصدر لإعطاء العهود وتلقين الأوراد ونحو ذلك من شئون الطريق ، وكان عمر الشيخ يومئذ اثنين وعشرين ربيعا[2] ، وعَجِبَ ربُّك من شاب ليست له كبوّة !! ولطالما جلس الشيخ فى خلوته متبتلاً فإذا بها تمتلئ نوراً عليه [3].

---

(١) راجع لمحات من تاريخ الإمام محمود خطاب د. عبد العظيم خطاب ـ الوثيقة الأولى ص (١٥٧ ـ ١٦١) .

(٢) كان ذلك فى الثامن عشر من ذى القعدة سنة ١٢٩٦ من الهجرة .

(٣) أخبرنى بذلك جمع من الثقات ممن تلقوا عن الشيخ رضى الله عنه ، وذلك من رواية والده عن بدايات ولده

وربك يخلق من يشاء ويختار ، فعلى مقتضى العناية الأزلية التى تعلقت بآل البيت طبع الله عز وجل الشيخ على مكارم الأخلاق ووهبه ذهناً متوقداً وعزيمة لا تُفل وهيّاً قلبه الشريف حتى يتواصل فى ظاهره وباطنه بجدّه الحبيب المصطفى ﷺ .

وبعد أن تحملت ذاته ما تحملت من كمال ، رسمت له الأقدار فصلاً جديداً فى تقلبات حياته إعداداً له لما سيُلقى عليه بَعْدُ من تَبعاتِ القيام فى المقام المحمدىّ داعياً إلى الله على بصيرة ، فإذا به يطلبَ العلم الشرعى بالأزهر وعمره ثلاثة وعشرون عاما[١] ، وما عسى كبير السن أن يُحصّل فى تلك السن !! لكنها إرادة الله الفاعلة اختارته لتضرب به مثلا ففى خلال سنة واحدة من التحاقه ، أجاد الخط وحفظ القرآن وجوّده وحفظ جملة مستكثرة من المتون فى سائر العلوم .

ولازَم الشيخ رحمه الله حلقات الدرس والتحصيل صباح مساء ، وجدّ فى الطلب سنوات وسنوات بهمة عالية وعزيمة ماضية ونفس وثّابة تتمنى تحصيل مقصودها مهما كلّفها ذلك من عناء ، ما دامت أحسنت الاعتماد على بارئها عزّ شأنه ، فكان أن جمع الله شمله وأنالهُ طلبه فنال الشهادة العالمية بعد ست عشرة سنة ، وكانت سِنُّه يومئذ تسعة وثلاثون عاماً تقريبا[٢] .

---

(١) كان ذلك فى ذى القعدة سنة ١٢٩٧ أى بعد سنة واحدة من نيله إجازة الطريق . وأعجب من سرّ هذا الشهر الحرام مع الإمام فهو شهر ولد فيه ، وأجيز فى الطريقة فيه فَعُدَّ من الرِّجال ، ودخل الأزهر كعبة العلم فيه.

(٢) كان ذلك فى تسعة وعشرين خلون من رجب سنة ١٣١٣ من هجرة المعصوم صلى الله عليه وسلم .

وظلّ الشيخ رضي الله عنه وفيّاً للشريعة والطريقة ، فكان يلقى بالأزهر الشريف دروس الفقه والتفسير والحديث ويدّخر وقت المساء للاجتماع بالإخوان للعلم والذكر في خانقاه[1] « سعيد السعداء » ، وبارك الله تعالى في وقته فألفّ وأجاد وحرّر العلوم وأفاد حتى وصلت جملة مؤلفاته إلى قرابة الثمانية والعشرين مؤلفا ما بين كتاب كبير ورسالة صغيرة[2] .

---

(١) اسم لمحل يتخذه الصوفية لعباداتهم ورياضاتهم . راجع لمحات من تاريخ الإمام ص ٤٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ رحمه الله هى :

١ ـ أعذب المسالك المحمودية فى التصوف والأحكام الفقهية (٤) أجزاء .

٢ ـ حكمة البصير على مجموع الأمير (٤) أجزاء .

٣ ـ هداية الأمة المحمدية فى الحكم المحمودية السنية .

٤ ـ إصابة السهام فى فؤاد من حاد عن سنة خير الأنام ﷺ .

٥ ـ تحفة الأبصار والبصائر فى بيان كيفية السير مع الجنازة إلى المقابر .

٦ ـ الرسالة البديعة الرفيعة فى الرد على من طغى فخالف الشريعة .

٧ ـ حاشية ديباجة الرسالة البديعة .

٨ ـ المقالة الشرعية للمرأة الإسلامية .

٩ ـ غاية التبيان لما به ثبوت الصيام والإفطار فى شهر رمضان .

١٠ ـ العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق .

١١ ـ النصيحة النونية فى الحث على العمل بالشريعة المحمدية .

١٢ ـ تعجيل القضاء المبرم لمحق من سعى ضد سنة النبى الأعظم ﷺ .

١٣ ـ فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين .

١٤ ـ سيوف إزالة الجهالة عن طريق سنة صاحب الرسالة .

١٥ ـ فصل القضية فى المرافعات وصور التوليقات والدعاوى الشرعية .

١٦ ـ المقامات العلية فى النشأة الفخيمة النبوية .

١٧ ـ السم الفعال فى أسماء فرق الضلال . =

وخرج رضى الله عنه إلى عموم الناس يدعو إلى الله على بصيرة مستعذبا ما يلقاه فى سبيل الله ورسوله متأسياً بجده صلى الله عليه وسلم ومهتدياً بقول الله عز شأنه : ﴿ واصبرْ على ما أصابكَ إن ذلكَ من عزمِ الأمورِ ﴾ (١) .

وأنشأ الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية (٢) وجعلها منبراً يبث منها دعوته حتى لقىّ ربه عز وجل راضياً مرضيا ، فى يوم الجمعة لأربعة عشر خلون من ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ(٣) عن عمر يناهز الثامنة والسبعين رضى الله عنه وأرضاه وجعل الفردوس الأعلى مقرّه ومثواه .

= ١٨ ـ الصارم الرنان من كلام سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم .
١٩ – العضب المنظوم للذب عن سنة المعصوم صلى الله عليه وسلم .
٢٠ ـ الرياض القرآنية فى الخطب المنبرية .
٢١ ـ خلاصة الزاد لمن أراد سلوك سبيل الرشاد .
٢٢ ـ رسالة البسملة .
٢٣ ـ رسالة مبادئ العلوم .
٢٤ ـ الحكم الإلهية بالدلائل القرآنية .
٢٥ ـ اتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات .
٢٦ ـ المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبى داود (١٤ جزء لم يكمل) .
٢٧ ـ الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق (فقه العبادات) (٩ أجزاء)
٢٨ ـ محور الوصول إلى حضرة الرسول ﷺ .

(١) سورة لقمان آية : ١٧
(٢) كان ذلك فى غرة المحرم سنة ١٣٣١هـ الموافق ١١ من ديسمبر سنة ١٩١٢م
(٣) الموافق ٧ يوليو سنة ١٩٣٣م .

الشيخ والكرامة [1]

يعتبرحديثنا عن كرامة الشيخ رحمه الله حديث ذو شجون فإن حظَّ الشيخ من كرامة الله عليه بلغت حداً يستعصى حصره فلا تكفى فيها بضعة أسطر ، ولكن اللبيب إذا ذُكِّر بالقليل استفاد منه الكثير ، وإنى أكتفى فى هذا المقام بأمثلة يسيرة فحسب عن هذه الطود الشامخ رحمه الله رحمة واسعة ، وأحبُّ أن أشير ابتداءً إلى أعظم كرامة اتفق أهل الكمال عليها ، ألا وهى :

تحقيق الاستقامة فى القول والفعل والحال ، فلقد تكاملت أسبابها لديه وظهرت أماراتها عليه ويكفيك أن تستعرض سيرته العطرة لتشهد شواهد ذلك فيه دائماً أبدا ، بل يكفيك أن تُملىَ عينيك من وجهه البهىِّ الندىِّ لتبصر أى نور عبقرىّ يشعُّ من ذلك الوجه المحمدى !!! إن تحققت بهذا فحسبُك ، فإن ضوء الشمس لا يحتاج إلى دليل .

وإن الكثير ممن عاصروا الشيخ يوقنون أن الشيخ كان دائم الشهود لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فما أكثر ما رأوا الشيخ فى منامهم

---

(١) الكرامة : أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد صالح غير مدَّعٍ للرسالة ، وهى من الأمور الجائزة عقلاً والواقعة فعلاً والمنقولة خبراً ، جاء بها الكتاب العزيز والسنة المطهرة الصحيحة والأخبار المستفيضة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا ، والإيمان بثبوتها واجب وجوب باقى العقائد الدينية لشهادة الكتاب والسنة على ذلك ، ومن أراد بسط ذلك فليراجع كتابنا : مشارق الأنوار القدسية فى سيرة الخضر الزكية ص ١١٧ ـ ١١٨

بصحبة الحبيب المصطفى ﷺ ، ولا طاقة لنا باستقصاء تلك الرؤى لكننا نُمثِل لجلال شأوها ، فلقد روى لى رجل ممن تتلمذ على الشيخ[1] أنه ذهبَ للحج فلما أتم شعائره ، اشتاقت نفسه لزيارة رسول الله ﷺ ، لكن ظروفاً قاهرة حتّمت عليه أن يعود أدراجه إلى مصر دون زيارة ، فبات ليلته على ظهر السفينة مفطّر الفؤاد ، لا يرقأ له دمع حتى غلبته عيناه ، فرأى كأنه يسير فى سكك المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام ، حتى آوى إلى طريق وجد فيه بيت النبى ﷺ فاستأذن فأذن له ، وأجلسه النبى ﷺ إلى جواره وهو لا يطيق النظر فى وجهه من شدة الأنوار فجلس ما شاء الله له أن يجلسِ ، فلما أحب أن يستأذن استبقاه النبي الكريم ﷺ ، وإذ بالطعام قد وُضع ويدعوه المصطفى ﷺ إلى أن يَطْعَم معه فيشرفُ بالنوال من يده الكريمة صلى الله عليه وسلم فطابت بذلك نفسه ، وما لبث أن سأل المختار ﷺ قائلا: يا سيدى يا رسول الله ماذا تقول فى الشيخ محمود خطاب ؟ فأجاب صلى الله عليه وسلم قائلاً: « الشيخ .. أنا من ساعة نزول الشيخ محمود خطاب على ظهر الدنيا ، وأنا ملازم صيغة الحمد ، الحمد لله ... الحمد لله » .

قلت : وهذه شهادة محمديّة كريمة ما أعلاها وأغلاها لأحد حَفَدته الكرام .

هذه واحدة ، واستمع معى إلى الثانية من فضيلة الشيخ / محمد عيسى[2] رحمه الله وهو يحدث بها من فوق منبر الجمعية الشرعية ،

---

(١) هو الشيخ أحمد سليمان العلباَغ ، وكان جاراً لى ، وكنت مديما لزيارته رحمه الله وقد سمعتها وسمعها عنه الجم الغفير عدة مرات .

(٢) هو أحد علماء الأزهر الشريف ممن اعتنقوا دعوة الشيخ رحمه الله تعالى .

فيقول : كنت فى ابتداء أمرى لاهياً معرضاً عن طريق الآخرة وقدرّ الله عز وجل أن أجلس إلى الشيخ الإمام فساق الله الهداية على يديه وزين الله الإيمان فى قلبى ، وتبعت الشيخ فألقيت ثياب جاهليتى ، وترسمت هدى رسول الله ﷺ فى هيئتى وملبسى ، وكان من جملة ذلك أن لففت العمامة وأرخيت طرفها بين كتفى كفعل النبى ﷺ ، فلما رآنى أبى على تلك الهيئة أنكر ذلك غاية الإنكار وأصر على أن أخلع هذا ، وتَقَطع فؤادى ألماً بين وجوب برِّى بأبى وبين وجوب المتابعة للنبى ﷺ ، فَبِتُّ ليلتى مؤرقاً ساكب العَبرات ، حتى إذا ما آذن الفجر بانبلاج ، إذ بأبى ينادينى بأعلى صوته ، فهرولت إليه مسرعاً وجلاً ، فإذا به يُبادئنى قائلاً: أنا الذى ساعممك وأرخى لك !! فأكببت علىَ يديه أقبلهما ، سائلا إياه عن سرً تحوله العجيب ؟! فأخبرنى بأنه رأى رسول الله ﷺ فى ليلته هذه، لكنه كان كلما أقبل عليه أعطاه النبى ﷺ ظهره ، كالمعرض عنه ، فلما سأله عن سبب ذلك ؟ أجاب النبى ﷺ قائلاً : « تمنع ابنك من العمل بسُنّتى .. والسير مع الشيخ محمود خطاب !! والله ما أظلت السماء ولا أَقلت الأرض أحبُ إلى الله فى هذا الزمان من الشيخ محمود خطاب .

قلت : ووالله إن لم تكن سوى هذه الرؤيا فى حق الشيخ رضى الله عنه لكَفَتْهُ .

أمامكاشفاته رضى الله عنه فكذلك لا حصر لها ولكنى أكتفى بهذا المثال ، فلقد حدث أن بَارتْ تجارة رجل وأشرف على الإفلاس ، فحدثته نفسه أن يذهب للشيخ فيطلب منه مبلغاً معيناً يستنقذ به تجارته ، فلما صلى الفجر معه وسلم عليه بعد الصلاة انعقد لسانه خجلاً أن يسأله ، فإذا الشيخ يقول له : انتظرنى ، وما هى إلا هنيهة وإذا به ينزل فيدس فى

بده مظروفاً ، فلما فَضّه وجد به نقوداً ، فلما عدَّها وجدها تماما على القدر الذى كان سيطلبه من الشيخ .

أما الحديث عن صريح كراماته فهو كذلك كغيث مدرار ، ونكتفى هنا بذكر كرامتين جليلتين :

أولاهما : ما أقسم على حدوثه عَالِمُ الجمعية ووليُّها الشيخ / عبد الفتاح سعد[1] رحمه الله تعالى ، فلقد رأى الشيخ بعد وفاته فى منامه وكأنه يزوره فى منزله فأراد أن يُقدِّم للشيخ واجب الضيافة ، فلم يجد فإذا بالشيخ يخرج برتقالة فيقسمها نصفين فيأخذ هو نصفا ويعطى الشيخ عبد الفتاح النصف الآخر ، فانتبه الشيخ عبد الفتاح من منامه فإذا به يجد ذلك النصف من البرتقالة على وسادته إلى جوار رأسه !!! .

وثانيهما : ما رواه الشيخ العلامة / درويش الجعبرى [2] رحمه الله فلقد التقى بالشيخ الإمام فترة دراسته بالأزهر الشريف ثم عاد إلى بلدته الخليل (من أرض فلسطين) وذات ليلة هزّه الشوق إلى مجلس شيخه فعزم على السفر إليه ولقائه لكن الحرب[3] قد قامت وقطعت خطوط المواصلات ، فأسقط فى يديه ، وفى إحدى هذه الليالى إذا بصوت الشيخ يقطع عليه وحدته قائلا: بلغنا أنك تحب زيارتنا .. قال : نعم سيدى ، قال : فضع يدك فى يدى فإذا هما فى مسجد الجمعية الشرعية

(١) كان واعظاً للجمعية بكوم البركة بحيرة .
(٢) كان هو والشيخ على حلوة من أجلِّ تلامذة الشيخ الإمام .
(٣) كانت فى الحرب العالمية الكبرى سنة (١٩١٤ ـ ١٩١٧).

بمصر فى التو واللحظة [1] ، فاستكتمه الشيخ ألا يبوح بذلك فما حدّث بها إلا بعد وفاة الشيخ رحمه الله تعالى .

هذا ما أردت أن أنوّه بذكره فقط وإلا فإن الذى ذُكر كقطرة فى بحر فضله رحمه الله ورضى الله تعالى عنه وأرضاه .

* * *

(١) ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك ﴾ النمل : ٤٠ فالذى علّم آصف بن برخيا اسمه الأعظم علمه الشيخ كما علم غيره من أفراد الأمة المحمدية . والله على كل شىء قدير .

الشيخ والتصوف

أثار البعض ممن لم يقف على تاريخ الشيخ وأصل دعوته ـ أثار شكوكاً حول صوفية الشيخ ، وخلطوا عن قصد وغير قصد بين شدة تمسك الشيخ بالسُّنة وغيرته على شرع الله عز وجل وبين ما يأتيه الأدعياء والمرتزقة يُشوهون به وجه التصرف النّضر ، وما علموا أن الشيخ بلغ مبلغاً فى الطريق أهّله بأن يقوم مقاما حاكما يدفع فيه تحريف المُضلّين ، وانتحال المبطلين .

فلم يكن شأن الشيخ إنكار التصوف أو الرجوع عنه ، بل كان شأنه تصحيح أحوال أهل التصوف على الأصول والقواعد التى قعّدها الأئمة من قبله وما أكثر هؤلاء الأئمة الذين صنعوا صنيعه .

وكيف يفارق هذا النبع الزلال .. وقد كرع منه منذ ميعة(١) الصّبا وتخرّج فيه قبل أن يتلقى حرفاً واحداً من العلم الشرعى ؟!

ثم رأينا كيف كان تحصيله بَعْدُ بالأزهر بعد أن وَلَجَ من باب التصوف الرفيع ، ووالله ما تُنْتج الظلمة نوراً ، فالذى خَبُثَ لا يخرج إلا نكدا ، فهل كان الشيخ كذلك ؟ حاشا وكلا .. بل يَسَّرَ الله سلوكه إليه وأوصله إلى آفاق رحبة انتهت به إلى سُدّة الكمال .

وتعالوا بنا نراجع حياة الشيخ مرحلة مرحلة ، ونراجع كتبه

---

(١) ميعة الشيء : أوله ـ المعجم الوسيط ٢/٩٠١

كتاباً كتابا ، فهل فيها ما يُنبئ عن رجوعه عن صوفيته بعبارة صريحة ونص مُوَثّق ؟ أم أن الأمر مجرّد دعوى ادعاها من لا خلاق لهم فهم يتحملون كِبرها .

لقد نشأ الشيخ في بيئة صوفية خالصة حتى بلغ الإثنين والعشرين عاماً[1] ثم ارتحل إلى الأزهر طالباً للعلوم الشرعية ، وهناك التقى بالشيخ عليش رحمهُ الله فأخذ عنه الفقه والحديث والطريق ، وأثبت الشيخ سنده في الطريق إليه فى كتابه العهد الوثيق فى طبعته الأولى[2] .

ولم يكتف الشيخ بهذا ، بل واصل فى طريق الله يأخذ عنه أئمة الطريق فأخذ الرفاعية والشاذلية والنقشبنديّة والبيومية والأحمدية والإبراهيمية ، وغير ذلك من الطرق المشهورة[3] .

فأى رجوع هذا الذى يتحدثون عنه ؟ وأى فِريَة هذه التي يُروِّجون لها ؟!

لو أننا استعرضنا مقالة الشيخ لأعضاء لجنة امتحانه لنيل العالمية عندما سألوه أن يُسمعهم شيئاً من التصوف ... إذا به يرفض قائلاً : « إن القلوب ممتلئة بحب الدنيا فلا تقبل شيئاً من التصوف »[4] .

---

(١) راجع صدر الترجمة .

(٢) العهد الوثيق ـ طبعة أولى سنة ١٩٣١م مطبعة الفتوح الأدبية .

(٣) العهد الوثيق ـ طبعة ثانية سنة ١٩٣٣ ص ٢٧ وراجع كذلك مقدمة الرسالة البديعة .

(٤) راجع الدين الخالص ص ١٠ (ترجمة الشيخ) ، وكذلك لمحات من حياة الشيخ الإمام ص ٩٠ .

فهل رفض الشيخ التصوف وقال بخزعبلة؟ أم أنه ارتفع به إلى أعلى قمة ، ونزّه شأنه أن يذكر فى غير أهله ؟! ولمتضاعف عجبك حينما تعلم أن الشيخ قال مقالته هذه بعد ستة عشر سنة متواصلة من الطلب والتحصيل بالأزهر المعمور !!!

وهذه وحدها كافية بردّ مقالتهم .. فأين رجوع الشيخ عن التصوف بعد تعلمه بالأزهر ، وهل العلم يناقض التصوف ؟ أم أن الجامع بين العلم والتصوف هو المتحقق حقا[1] ؟!

وماذا صنع الشيخ بعد نيّله العالمية ؟ ألم يجتمع بتلامذته ومريديه كل مساء بخانقاه (سعيد السعداء) .. ألم يجمع الناس بَعْدُ بمسجد الجمعية الشرعية بالخيامية على العلم والذكر ؟

لقد حدثنى غير واحد ممن أدرك الشيخ رضى الله عنه أنه كان يجمعهم على الذكر ، فيذكرون الله تعالى حتى تُبحّ أصواتهم من الذكر» [2] ، وعندما أردت أن آخذ العهد من الشيخ درويش مصطفى[3] رحمه الله قال لى ما نصهُ : « أعاهدك كما كان الشيخ يعاهدنا » ، وشبّك يمينه فى يمينى !! وهذه العبارة وهذه الصفة تثبت أن الشيخ عاهدهم ولقّنهم ، وأنتج ذلك معهم حتى صاروا شيوخاً يبايعون ، ولا زال عطاؤهم متواصلا

---

(١) قالها الإمام مالك رضى الله عنه

(٢) حدثنيها بنصها الشيخ / محمد عبد الغنى محمد رحمه الله ، وهو أحد الذين لازموا الشيخ وجاوروه

(٣) وهو أحد الدعاة الأولياء بالجمعية الشرعية وكان ممن لازم الشيخ وحمل عنه أنوار الشريعة وأسرار الطريقة رحمه الله رحمة واسعة .

ومن جملة هؤلاء النفر الذين بايعوا الشيخ ولقّنهم الأسماء السبعة :

١ ـ فضيلة الشيخ / عبد القادر حنفى : الحاصل على إجازة العالمية ومن أوائل وعّاظ الجمعية ، ومن كبار أوليائها وذاكريها حتى قال الشيخ الكبير فيه : « أنا عقيم إلا من ولدى هذا » .

٢ ـ فضيلة الداعية الكبير الشريف الحسينى الشيخ / عبد الله العفيفى رحمه الله تعالى ، وترجمته أوسع من أن تحويها سطور ، فقد كان أمة وحده .

٣ ـ فضيلة الشيخ / خلف رحمه الله أحد علماء الأزهر الشريف .

٤ ـ فضيلة الشيخ / عبد الفتاح سعد رحمه الله وقد سقت حادثته مع الشيخ منذ قليل فى باب الشيخ والكرامة .

ولم يتوقف الأمر عند حد هؤلاء ، بل ضربنا نماذج لرجال علماء اتقياء كانوا ملء السمع والبصر ، وقاموا بدورهم بالتلقين والتربية لمن تأهل بعدهم، فهاهو ولى الله تعالى فضيلة الشيخ هندى عمران [1] متع الله به قد حمل الأمانة من الشيخ عبد القادر حنفى وأشاعها فى كثير من مساجد وزوايا الجمعية الشرعية ، وما تكاد ترى تلميذاً له خاليا عن ذكر الله وكثرة الصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه ﷺ .

وإذا ما استعرضنا كتب الشيخ رضى الله عنه أدركنا فيها قاسماً

---

(١) ومن أوراد الاستغفار التى نقلها فضيلة الشيخ هندى عمران عن الشيخ الكبير : « الحمد لك والشكر لك ما دامت النعماء لك ، اغفر لعبد قال لك الذنب لى والعفو لك » ومنها : « كريم حليم إذا وقف المسىء ببابه ترك القبيح وجاد بالغفران » .

مشتركاً بين شدة تمسكه بالشريعة وتمام تحققه بالطريقة ، حتى الكتب التى أفردها للتصوف الإسلامى نشهد فيها هذا الامتزاج الرفيع ، ليؤكد رضى الله عنه على أن طريق الوصول لن يكون إلا بتمام التأسى بالحبيب الرسول ﷺ ، فنلاحظ نَفَاسة النبع الذى شرب منه وهو يقول [١]

سرُّ الجلال مع الجمال سقانى   والرِىُّ وافى روضــــة الديوان
والذوق أفنى شُربه فى سكره   والجمع هنىٌّ بالوصال الثانى

وتعرّف معى ـ أخى الكريم ـ على مقام من مقاماته العلية[٢] حين يقول :

ســـــــرت بين لُوّمى شُؤنى   وصُنت دمعى فى غشا جفونى
إنى أخـــــاف أن يُكذبونى   لو بُحتُ باليسير مَن شجونى

لاسيـما عند جهـول غُمـر

قولا لقوم ألحقوا بنا الأسى   وألبسونا من أذاهم كســـا
يا قوم إنكم ظلمتم أنفســا   قد شربت من حب طه أكاسا

وثملت منه بغـيـر خـمـر

وهذا لسان ذوق وعرفان ، ومعايشة وافتتان بالنبى المصطفى العدنان ﷺ . أما المقام الذى تتقطع دونه الأعناق فقد صرّح ببلوغه وارتياده فقال [٣] :

---

(١) من مطلع كتابه النصيحة النونية .
(٢) راجع كتابه المقامات العليّة فى النشأة الفخيمة النبوية ص ٣١ ، ٣٣
(٣) راجع كتابه المقامات العليّة فى النشأة الفخيمة النبوية ص ١٩

بلغت مـــرادى ونلت المنى وزاد ســــــرورى وزال العنا
فــمــاذا الذى أرتجى بعــدها وهـذا الرســـــول وهذا أنا
فــبُشــراك بشــراك يا ناظرى تملّ وإياك أن تُغــبــنا
فحيث التفتُ رأيت الرسـول وآثــارة مــن هـنــا أو هـنــا

ولقد أشار فى عهده الوثيق[1] إلى نفس المقام فقال : لابد لكل من حقّ له قدم الولاية من الاجتماع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة ، أفبعد بلوغ هذا المقام ونيل هذا المرام ؟ ينقض العهد ويزول الوئام ؟! أرجوع بعد مشاهدة ؟! وردّة بعد معاينة ... ؟

اللهم إليك نشكوا ، إن الإنسان إذا باشر فكرة أو عايش مسألة .. ربما تحوّل عنها إذا لم يجد فيها غناءً أو فائدةً ، أما إذا وجد فيها راحته وقضى بها وطره وظفر فيها ببُغيته لاشك أن يشيد بها ويُنوّه بذكرها وينتصر لها ويؤلف فيها ، وهذا ما صنعه الشيخ فهو قد انتقل من مرحلة التجريب إلى مرحلة اعتماد النتائج وتأصيل مفاهيم التجربة .

ومن ألزم القرائن الدالة على ثبات الشيخ على طريق أهل الله تعالى هو طبعه لكتاب العهد الوثيق طبعتين فى حياته : الأولى بمطبعة الفتوح الأدبية سنة ١٩٣١م ، أى قبل وفاته بسنتين لاغير ، والثانية بالمطبعة الحميدية سنة ١٩٣٣م ، أى سنة وفاة الشيخ رضى الله عنه[2] ، فكان إعادة طبع هذا الكتاب فى سنة وفاته بمثابة بلاغ من الشيخ وهو فى برزخه بتكذيب كلّ من تقوّل عليه بعد إنتقاله إلى الرفيق الأعلى ؟

---

(١) راجع كتابه العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ص ٢٥ ط ثانية .

(٢) انظر فيهما على تاريخ الطبعتين ، ملتقطة من سجل دار الكتب المصرية (الخديوية) والسهم يشير إلى سنة التسجيل بالدار

دار الكتب المصرية

سجل حصر الكتب

النمرة الخصوصية	النمرة العمومية	عنوان الكتاب واسم المؤلف	محل وتاريخ الطبع أو النسخ	عدد المجلدات
٢٨٠٧	٢١٧٩ / ١٩٢١	المنهج الوثيق لمن أراد سلوك المنهج الطريق. تأليف الشيخ محمود أحمد خطاب السبكي. نسخة في مجلد طبع مطبعة الشيخ التدبيه بالقاهرة في ... ٢٤ ص.	بالمطبعة ...	١
٢٨٠٨	٢١٨٠ / ١٩٢١	المقامات العلية في النشأة الفخيمة النبوية تأليف الشيخ محمود محمد أحمد خطاب. وهي مولد النبي صلى الله عليه وسلم على الصرفي. نسخة في مجلد طبع مطبعة السعادة بالقاهرة في ١٤٤ ص		١
٢٨٠٩	٢١٨١ / ١٩٢١	الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على من طعن في الشريعة. تأليف الشيخ محمود محمد خطاب السبكي وهي رسالة في الرد على بعض أرباب الطرق الذين يذكرون الله بغير ما ورد في الكتاب والسنة. نسخة في مجلد طبع مطبعة العلوم الأدبية في ١٠٢ ص وفهرس في ٢ ص.		١
٢٨١٠	٢١٨٢ / ١٩٢١	فتاوى أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين تأليف الشيخ محمود محمد خطاب. نسخة في مجلد	"	١

دار الكتب المصرية

سجل حصر الكتب

النمرة الخصوصية	النمرة العمومية	عنوان الكتاب واسم المؤلف	محل وتاريخ الطبع أو النسخ	عدد المجلدات
		وثلاثة الرابعة وخاتمة وتذييل في ١٠٨ ص		
٢٩٢٦	٢٧٩٢ / ٢٢	الصحف الناموسية والسيوف الناووسية وهي رسالة لإبراهيم بك ... في جواهر الحكم العرفانية ... السادة الصوفية نسخة في مجلد طبع مطبعة ... بالقاهرة ... أولاً مقدمة لناشرها محمد محمد الشربيني ويليها خاتمة لناشرها المتقدم في ٤٤ ص.	مصر ١٣١١	١
٢٩٢٧	٢٧٩٣ / ١٩٢٢	نسخة ثانية كالسابقة.		١
٢٩٢٨	٢٧٩٤ / ١٩٢٢	المنهج الوثيق لمن أراد سلوك أقوم طريق تأليف الشيخ محمود خطاب السبكي نسخة في مجلد طبع الكعبية الحسينية بالقاهرة في ٢٤ ص.	مصر ١٣٢٠	١

وليس لنا من تعليق إلا أن نقول :

قد تنكـر العين ضوءَ الشمس من رمد
وينكـر الفم طعم الماء من سقم

وزيادة فى تأكيد هذا المعنى إليكم شهادة رجل من أجل علماء أهل زمانه ـ وهو شيخ الحنابلة إذ ذاك ـ قال[1] : « أخونا العالم الفاضل الشيخ محمود خطاب ، كيف لا وهو أورع عالم بالمدرسة الأزهرية ، وأتقى عابد بالقريّة السبُكية ، قطب فلك دائرة الطريقة الخلوتية ، وهيهات يجود الزمان بمثله فى ديارنا المصريّة » .

وتأمل معى قوله : قطب فلك دائرة الطريقة الخلوتية ... فكأنه نَصَّبَه إماماً لها ، وهو أهل لذلك والحمد لله ، فلو كان الشيخ رجع عن تصوفه لما طبع هذا فى آخر كتابه ولتبرأ منه علانية ، وهذا ما يقضى به المنطق السليم والفكر الرشيد .

لقد أسْمَعتَ إذ ناديت حيا ولكان لا حياة لمن تنادى
فنارك لو نفخت بها أضاءت ولكن .. أنت تنفخ فى الرماد

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

وخَطَّهُ
محمود الطيِّب
طيِّبه الله من سائر الوجوه

---

(١) راجع كتاب تحفة الأبصار والبصائر ص ١٧ وشيخ الحنابلة إذ ذاك هو العلامة السيد أحمد البسيونى رحمه الله تعالى .

القسم الثانى
نص كتاب العهد الوثيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] والصلاة والسلام على رسول الله القائل : « إنَّ لكل عَمَلٍ شِرَّةً ولكل شِرَّةٍ فترة فمن كانت فترته إلى سُنَّتِى فقد اهتدى ومن كانت إلى غَيرِ ذلك فقد هلكَ »[2] رواه البيهقى عن ابن عمرو بن العاص وعلى كل من هديه سلك .

أما بعـــد :

فيقول محمود بن محمد بن أحمد خطاب السبكى : هذه كليمات، دالة على بعض سنن سيد الكائنات، سميتها : (العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريقٍ) فمن عمل بها فهو من إخواننا ، ومن أعرض عنها فلا علْقَة له بنا .

أيها الإنسان ، جدد التوبة فى غالب الأزمان ، وأكثر من

---

(١) سورة الذاريات : ٥٥ .

(٢) وأخرجه الترمذى (٥٤٨/٤) بنحوه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وأخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده مطولا (١٥٨/٢ ، ١٦٥) و(٤٩/٥) وقال أحمد شاكر فى تحقيقه : إسناده صحيح وروى البخارى والنسائى أجزاء من حديث أحمد هذا .

الاستغفار ، والصلاة والسلام على السيد المختار ، وَذِكْر مولاكْ ، الذى على موائد كرمه رباك ، واعلم أن هذه الأمور كلها : تجوز من قيام وقعود ، واضطجاع ورقود ، فى الخلوة والجلوة ، مع الاستدبار والاستقبال ، والفراغ والاشتغال ، بوضوء ومن غير وضوء ، ولو عليك جنابة ، وإن كان مع الوضوء وباقى الشروط أكمل فى الإثابة [1]، والغرض أن لا تغفل عن الطاعة ، كلما أمكنك حذرا من التفريط والاضاعة ولو كل ساعة مرة من ذلك ، ليتصل بقلبك النور من السيد المالك ، وينفعك ذلك عند ذكر مجلسك المخصوص ، فإن قلبك حينئذ لا يتحول عن استحضار عظمة مولاك كأنه بنيان مرصوص ، وتجده خالياً من التشويش والاختلاط ، منشرحاً للطاعة ، فى غاية القوة والنشاط ، كل ذلك لاتصال قلبك بالأنوار ، بسبب تجديدك الطاعة بالنهار ؛ إذ اللغو وترك العبادة ، موجب للكسل وشغل القلب وزيادة .

---

(١) الأسوة فى ذلك كله سيد الوجود ﷺ ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ يذكر الله على كل أحيانه . رواه البخارى معلقا (٤٨٥/١) ، (١٣٥/٢) فتح البارى ، ورواه مسلم موصولاً (٦٨/٤) نووى . ورواه أبو داود (٧١/١) منهل . وأحمد (٧٠/٦) .

قال النووى رحمه الله : ويكون معظم المقصود أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله تعالى متطهراً ومحدثا وجنباً وقائما وقاعداً ومضطجعاً وماشيا . والله أعلم .

وقال الشيخ محمود خطاب رحمه الله : عموم الأحيان يستلزم عموم الأحوال وكان النبى ﷺ دائم التفكير لا يفتر عن الذكر القلبى لا فى يقظة ولا نوم . المنهل العذب (٧٣/١) .

واعلم أنه لابد لك فى كل أربع وعشرين ساعة ، من مجلس مخصوص فى الليل أو النهار والليل أولى بعد فراغك من الشواغل: بأن تتوضأ إن أمكن ، وتصلى من النفل ما تشاء ، وإذا كان عليك فوائت صل منها بدلاً عن النفل لأن فعل الفرض مقدم على فعل النفل ، ثم تستقبل القبلة إن أمكن وتقرأ الفاتحة وسورة تبارك الملك إن كنت حافظاً لها وسورة الكافرون .

(ثم) تستغفر الله بأى صيغة مائة مرة أو أكثر[1] ، ثم تجدد التوبة وتندم على ما فعلت من المخالفات ، وتحاسب نفسك على ذلك محاسبة حقيقية شديدة كأنها طفل بين يديك تريد ربايته بزجره بكل ما تقدر عليه ؛ بمعنى أنك تذكر لها كل ما وقع منها طول النهار من المخالفات والتفريط والكسل وغير ذلك ، وتذكر لها العذاب الذى جعله الله تعالى للعاصين والثواب الذى أعده للطائعين ، ثم تحكم عليها أن تقبل على العبادة فى تلك الليلة بقدرِ ما ارتكبت من المعاصى أو أزيد ، إذ الحسنات تكفر السيئات، ووِرد المحاسبة المذكورة من أهم الأمور المطلوبة [2]

(١) عن الأغر بن يسارٍ المزنىّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنه لَيُغانُ على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائَةَ مرةٍ » . رواه مسلم (٢٣/١٦) نووى . استحباب الاستغفار والإكثار منه . ومقامه ﷺ يقضى بأن الغين : غين أنوار لا غين أوزار. وقال صلى الله عليه وسلم : « والله إنىّ لاستغفرُ الله وأتوبُ إليه فى اليوم أكثرَ من سبعين مرةً » رواه البخارى . دعوات (١٠٤/١١) فتح

(٢) روى الترمذى (٥٥٠/٤) عن عمر موقوفا « حاسبوا أنفسكم قبل أن =

ثم تصلي وتسلم على النبى ﷺ[1] بأى صيغة مائة مرة فأزيد، وينبغي الإكثار ليلة الجمعة . (ثم) تتجرد من الشواغل الدنيوية كلها إن أمكن أو بقدر ما يمكن ، لأنك تريد الدخول فى حضرة ربك التى هى كناية عن الإقبال التام على الله عز وجل ، والإعراض عن كل ما سواه ، حتى عن نفسك. وأنت جالس فى مكان طاهر مظلم مُعَظّم مطيّب بالروائح الزكية ، كجلوسك للصلاة ، واضعاً يديك على فخذيك مغمضاً عينيك لأنه بتغميض العينين تنسد طرق الحواس الظاهرة وسدها يكون سبباً لفتح حواس القلب ، لابساً الثياب بيض حلال مطيبات بالروائح البهية والفم والبدن ، مبعداً الروائح الكريهة ـ لأن الروحانيين لايقبلون الروائح الكريهة وبانقطاعهم عن مجلس الذكر ينقطع المدد[2] ـ مستأذناً

= تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخفّ الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه فى الدنيا » .

وفى تاريخ عمر بن الخطاب (١٧٦ ـ ١٧٧) عن ثابت بن حجاج قال عمر : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل توزنوا ، فإنه أهون عليكم فى الحساب غداً ، أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ **يومئذ تُعرضُون لا تخفى منكمُ خافية** ﴾ . ووصله أبو نعيم فى الحلية (٥٢/١) وإسناده جيد .

(١) رعاية لقولَ الله عز وجل ﴿ **إنّ الله وملائكتهُ يُصلّون على النبيّ يا أيّها الذينَ آمنُوا صلُّوا عليْه وسلّموا تسْليماً** ﴾ .

(٢) الرُّوحانيّ : بالضم ما فيه الرُّوح [وكذلك النسبة إلى الملك والجن] والجمع روحانيون أ. هـ القاموس (٢٨٢) والمراد هنا خصوص الملائكة وفي حضورهم قال ﷺ : « لا يقعُدُ قوم يذْكرونَ الله عزّ وجلّ إلا حَفّتهمُ الملائكةُ وغشيتْهم الرّحمةُ ونزلتْ عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمنْ عنده » مسلم (٢٢/١٧) نووى . فحضور الملائكة =

أهل الطريق ورسول الله ﷺ والحضرة الإلهية في دخول حضرة الذكر التي هي حضرة الله تعالى ، جاعلاً خيال شيخك بين عينيك ، ليكون رفيقك في السير إلى الله تعالى ، لا لكونه مقصود لذاته حتى يكون منافياً للتجرد عما سوى الله ، أو يكون إشراكاً في العبادة ـ والعياذ بالله تعالى ـ خلافاً لما يتوهمه بعض القاصرين ، فالمقصود هو الله تعالى وحده ، واستحضار الشيخ إنما هو لتحصل على مقصودك ، لأن الوصول عادة لا يكون إلا بدليل ، وإذا وجد الدليل لا يجد الشيطان له مدخلاً معك حتى يحولك عن الطريق.

ولنا كان استحضار الشيخ من أهم الآداب (١)

= سبب لتواصل الأمداد الرحمانية والمنح الإلهية .

(١) رسم لنا رب العزة صورة للكمال الإنساني مثّلها في شخص المصطفى ﷺ ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ فهاهو ﷺ يأمرنا بترسم عبادته فيقول « صلوا كما رأيتموني أصلي » ويقول في حجته : « خذوا عني مناسككم » وهكذا في كل عبادة ما أخذت إلا عنه وما عرفت إلا منه ولو لم نأخذها عنه لما صحّت أن تكون قربة ، والعلماء العاملون هم ورثة النبي الأمين ﷺ فما رأيناه ﷺ إلا في سمتهم وما تحملنا العلم والعمل والحال إلا منهم رضي الله عنهم ، ولما كان الذكر من جملة القربات كانت عملية استحضار صورة الشيخ والاقتداء به في خشوعه بين يدي الله عملية تلقائية تحدث للمعتقد والمنتقد على السواء فالكل يتمثل شيخه ليماثل فعله ، وذلك أسلوب تربوي ، فإن هذا الاستحضار يشغل الفكر عن التصور الفاسد ويجمع الذاكر على المذكور بعد أن تمثّل إخلاص شيخه وكمال همته فإذا به يتّقد همة وإخلاصاً وهي من قبل ومن بعد دعوة للاقتداء وترويض للنفس على التأدب في حضرة النبي ﷺ بعد أن أحسن التأدب في حضرة شيخه

ومعلوم أن الحضرات متصلة بعضها البعض وفي الاستحضار أيضاً ربط القلب =

(ثم) تذكر فى الاسم الذى أذن الشيخ لك فيه بهمة تامة ، مستحضراً معنى ذلك الاسم فى قلبك حتى كأن قلبك هو الذاكر وأنت تسمعه ، متباعداً عن تحريف الأسماء فلا بد من مدّ «لا» مداً طبيعياً أو أزيد وتحقيق الهمزة ومد لفظ « إله » مداً طبيعياً وفتح الهاء من «إله» من غير مد وينبغى تسكين الهاء من «الله» وكذا بقية الأسماء . والحذر الحذر من الإسراع المؤدى إلى التحريف ، فإنه حرام على فاعله العقاب حيث ألحد فى الدين، قاصداً بذكرك وجه الله تعالى لا غير ، لا ثواباً ولا هرباً من عقاب وإلا كنت عبد سوءٍ وهو الذى إذا أخذ الأجرة عمل وإلا ترك العمل .

ولا تختم الذكر حتى يحصل لك نوع من الاستغراق بأن تحس من نفسك بحلاوة الذكر ويحصل لك شوق وهيمان . فإذا أردت أن تختم ، فاستأذن من مولاك فى الخروج من الحضرة بأن تقول : حضرتكم لا يُمَلُّ منها ولكن أريد أن أختم لعذر كذا . ثم إذا ختمت سكنت واستحضرت الذكر بإجرائه على قلبك ، مترقباً لوارد الذكر فلعله يرد على القلب وارد ينشأ عنه فى اللحظة من الثمرة ما لم ينشأ عن مجاهدة نحو ثلاثين سنة ، وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع أو تَحمُّل أذى أو محبة أو نحو ذلك . تاركاً

= بهما (بالشيخ والنبى ﷺ) ليستعد لكمال الاتصال بحضرتهما والاجتماع الروحانى بهما وهو المقصود ، وهذا الاستحضار بدايته ولا يزال المريد يترقى حتى يصل إليه .

للواردات الدنيوية ، حابساً نَفَسكَ إذ ذاك ثلاث مرات أو خمسا أو سبعا هكذا بالإفراد ، فلهذه السكتة ثلاثة آداب : مراقبة الله تعالى كأنك بين يديه ، وجمع حواسك بحيث لا تتحرك منك شعرة كحال الهر عند اصطياد الفأر ، وحبس نَفَسَك مراراً حتى يدور وارد الذكر فى جميع عوالمك ويجرى على قلبك معنى (الله) ، كافاً عن شرب الماء فى أثناء الذكر وبعد الفراغ منه ، لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات والواردات الجليلة ، وشرب الماء يطفئ تلك الحرارة ، وأقل ذلك أن تصبر نحو نصف ساعة فلكية وكلما كثُر كان أحسن بل الصادق لا يكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية ، لكون ترك شرب الماء من الآداب المؤكدة فلتحرص على هذا أيها الصادق، وهذه الآداب تطلب عند الإمكان فلا تترك الذكر لفقدها .

(واعلم) أن : المداومة[1] على الذكر من الأصول المهمة .

(والجوع)[2] إختياراً بأن لا تزيد على ثلث البطن عند شدة الجوع، ولكن المبتدئ لا قدرة له على ذلك غالباً فيلزم الصوم

---

(١) قال تعالى : ﴿ فاذكُرونى أذْكُرْكُمْ ﴾ فأنت تذكره على قدرك وهو جل شأنه يذكرك على قدره عز وجل ، وقال صلى الله عليه وسلم : « مَثَل الذى يَذْكر ربه والذى لا يذكر ربّه مثل الحى والميت » أخرجه البخارى (٢١٢/١١) فتح . باب فضل ذكر الله عز وجل والذى لا يذكر ربه . وما أسعد إنسان شُغف بحضرة ربه فألهمَ ذكره مع تردد أنفاسه حتى قيل له مرة : اذكر الله . قال : ومتى نسيته حتى أذكره .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « ما ملأ آدميٌ وعاءً شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلاتٍ يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلثٌ لنَفَسِه » رواه الترمذى . كتاب الزهد وقال : حسن صحيح (٥١٠/٤) .

حتى تعتاد النفس ذلك . وبالجوع تنكسر نفسك فتقوى على تأديبها .

(والعزلة)[1] عن الخلق إلا لضرورة من علم أو بيع أو شراء .

(والصمت)[2] ظاهراً وباطناً إلا عن ذكر الله تعالى أو ضرورة .

(والسهر)[3] للذكر والفكر ونحو ذلك ، وأقله من ثلث الليل الأخير إلى طلوع الشمس . فأهل الطريق من شأنهم ترك فضول

(١) من أدلة العزلة قول الله عز وجل : ﴿ واذكر في الكتاب مريمَ إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً * فاتخذت من دونهم حجاباً ...﴾ مريم (١٦ ـ ١٧) . وعن أبى سعيد رضي الله عنه قال : قال رجل أىُّ النّاس أفضل يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله . قال : ثم من ؟ قال ثمّ رجل معتزل فى شعبٍ من الشعاب يعبد ربه ويدع النّاس من شرّه » مسلم . فضل الجهاد والرباط (٣٤/١٣) نووى .

وقال أبو على الدقاق : إلبس مع الناس ما يلبسون وتناول مما يأكلون وانفرد عنهم بالسرّ . الرسالة (٣٠٠/١)

ويعززه قوله صلى الله عليه وسلم : « كُنْ فى الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ » رواه البخارى (٢٣٧/١١) فتح . والترمذى (٤٩٠/٤) وأحمد (٢٤/٢)

وممن أفرد لهذا الباب تصنيفاً مستقلاً العلامة حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى البستى فى كتابه العزلة .

(٢) من سرت فيه أنوار مراقبة ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ ﴾ (ق ١٨) نطق لسان حاله قائلاً : ﴿ إنى نذرتُ للرحمن صوماً فلن أكلّم اليوم إنسياً ﴾ [مريم ٢٦] وانطوى سره على نصيحة جده صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو ليصمت » رواه البخارى فتح (٤٦٠/١٠) ، ومسلم نووى (١٨/٢)

(٣) رعاية لقول الله عز وجل : ﴿ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴾ [الفرقان ٦٤] وأنفعه الثلث الأخير ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ [الذاريات : ١٨] .

الطعام والكلام والمنام . (والشيخ) الذى سلك طريقهم وعَلِمَ ما فيها الذى من شرطه : أن يكون عالماً عابداً زاهداً متمسكاً بسنة رسول الله ﷺ إلى آخر شروطه التى ذكرناها فى كتابنا أعذب المسالك المحمودية . واحذر أن تذكر فى أى اسم إلا بإذن من الشيخ وإلا ربما هلكت ، وإذا فات وقت وِرد من أورادك فاقضه فى وقت آخر . والحذر من التفريط وإلا سدّ عليك الطريق ، فلا تلومن إلا نفسك .

(واعلم) أن الجهل مقبوح والعبادة معه كالجسد بلا روح ، وربما كفر الجاهل حال العبادة ، وهو يعتقد أنه بلغ الحسنى وزيادة ، فعليك أيها الإنسان بتحصيل العلوم ، لتصح منك عبادة الحى القيوم ولا سيما علم التوحيد ، فإن العلوم كلها له عبيد ، وبعد أن تعلم فعليك بالعمل ، وإلا ازداد عليك غضب الله عز وجل .

(واعلم)[1] أن كل السعادة ، فى العمل بالسنة ولو فى أمور العادة ، ولذا أجمع ذوو الألباب ، على أن الطريق مسدود إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ والأصحاب ، خصوصاً العمل بالسنن

---

(١) ما يأتى بَعْدُ من حثه رضى الله عنه على التمسك بالسنة يؤكد على ما أشرنا إليه فى المقدمة من أن الشيخ مع التزامه طريق القوم وتصدُّره فيها كذلك التزم السنة وتصدّر فيها ودعا إليها فكلا الأمرين زكاة لصاحبه بل قد أشار رحمه الله إلى كمال العلاقة بينهما فقال : إن طريق الوصول مغلق على من لم يقتفى أثر الرسول ﷺ .

التى تركها غالب الناس ، واستعملوا موضعها بدعا حَسَّنَها لهم اللعين الخناس ، وأنا آمرك أيها العاقل باحيائها ، فاقبل نصيحتى فإن بهاَ البهَاَ : فلاِ تطول ثيابك وأكمامك . وأرسل العذبة وأزل ذيل طربوشك ، وقص شاربك ووفر لحيتك واقرئ السلام من عرفت ومن لم تعرف ، ولا تقل لأحد ليلتك سعيدة أو نهارك سعيد أو نحو ذلك من تحية اليهود ، ولا تصافح عند الإنصراف لأن المصافحة محلها اللقى لا المفارقة .

ولا تقم لأحد إلا بقصد مصافحته أو مشى خطوات له أو توسعة المحل له أو أخذ شيء معه أو نحو ذلك لأن القيام لمجرد التعظيم نهى عنه رسول الله ﷺ ، ولا تحب أن يقوم أحد لك لأن حب القيام من المحرمات وكذا حب تقبيل اليد ، ولا تشرب الدخان ولا التنباك ولا نحو ذلك ، ولا ترفع صوتك حال السير مع الجنازة بذكر أو نحوه وامنع من يفعل ذلك إن أمكن ، وإلا فلا تسر معهم وإذا مات عندك شخص فلا تكلف نفسك الجلوس ثلاثة أيام فى مكان مخصوص مع صرف ما أنت محتاج إليه وتهمل أشغالك المطلوب تنجيزها وربما كان فى الورثة من لم يبلغ الحلم ، كما يقع من غالب الناس وجرت به عوائدهم وينظر بعضهم إلى بعض فى ذلك ، وربما تداينوا بالربا أو باعوا ما هم مضطرون إليه . وهذا ونحوه تأباه الشريعة المطهرة فعليك أيها العاقل بالوارد واترك كل ذلك فإنه وبال . وامنع نساءك من الصياح واللطم ونحو ذلك والخروج إلى المقابر والموالد والأفراح وغير ذلك فإن خروج النساء

من أكبر المضرات ، والحذر الحذر من إعمال شيء يكون سبباً فى جمع الرجال مع النساء أو ضياع المال فى غير مصرفه الشرعى كإعمال الموالد والأفراح التى جرت بها عادة غالب أهل هذا الزمان الذين استحوذ عليهم الشيطان .

وإذا عرض لك زواج أو نحوه فاسلك به المسلك الشرعى، والحذر الحذر مما يقع من أغبياء أخساء الجهلة من دخول النساء على العروس وصحبتهن امرأةٍ تسمى بالماشطة تصنع فى فَرْجِ العروس ما تشاء وتنقش من دم فَرْجِها قميصا تخرجه للمجرمين الذين على باب المكان الذى فيه العروس يرقصون ويصفقون ويصنعون كبير الفواحش وغير ذلك من كبائر السيئات التى من استحل شيئاً منها كفر بإجماع المسلمين (فالمطلوب منك) أن تعمل وليمة شرعية ، من غير اجتماع رجال بنساء خالية من الهذيان الذى عمت به البلوى فى غالب أفراح المغفلين ، وخالية من رفع أصوات النساء بغناء أو زغاريد أو نحو ذلك ومن الرقص ولا سيما رقص النساء ونحو ذلك مما هو مشاهد وقوعه من الأوباشِ الذين لا عقل لهم ولا دين خصوصاً رقص النساء البرمكيَات[1] فإنه من أقبح فظيع السيئات ، فلا يحضره أو يميل إليه إلا خسيس لئيم غضب عليه رب الكائنات ومن قال بحله بطل عمله من صلاة وصيام وحج وصار نساؤه مطلقات . ثمَ بَعَدَ

(١) نسبة إلى البرامكة جدهم الأعلى برْمَك (القاموس ١٢٠٥) والبرامكة هم وزراء الدولة العباسية وكانوا من الفرس وتفننوا فى مظاهر اللهو والترف من الغناء والرقص والموسيقى فنسب إليهم كل ما يصنع من الملاهى .

ذلك يُؤتى بالعروس إلى بيت الزوج فى غاية الستر والكمال وصحبتها المحارم ثم تترك فى بيت على حدة ويدخل عليها زوجها من غير وجود أحد معه أو على باب المكان الذى هو فيه ثم يزيل بكارتها إن كانت بكراً بقبله فى أول ليلة أو بعدها من غير أن يصنع قميصاً أو يطلع أحداً على شىء من الدم فإن لم تقدر على ذلك وجب عليك ترك الزواج إلا لضرر أشد .

وإذا كان لك ولاية على مسجد فامنع المؤذنين من البدع التى يسمونها بالأولى والثانية والترقية والأذان داخل المسجد ورفع الصوت بقراءة سورة الكهف ونحو ذلك من البدع التى خالفوا بها سنن رسول الله ﷺ وأصحابه وأئمة الدين فاعمل على هذه السنن ونحوها وترك البدع ولا تخش فى الله لومة لائم فإنه لا يلوم على فعل السنن وترك البدع إلا كافر أو جاهل أخس من وخيم البهائم. وإن شاء الله تعالى ببركة العمل بالسُّنن يوفقك الله تعالى لفعل كل خير على حسن سننٍ .

ولا تغتر بقول بعض الناس فى تأليفه لا يرسل العذبة إلا من أظهر كرامة ونسبه إلى الجنيد وهو كذب محض وحاشا العارفين أن يقولوا ذلك وكيف لا والعمل بالسنة هو الكرامة العظمى فكيف يتوقف فعلها على كرامة ، وهاهى جميع السنن مطلوب فعلها ولم يقل أحد أن فعلها يتوقف على كرامة ﴿ **فإنها لا تعمى**

الأبصـــارُ ولكن تَعْمَى القُلُوبُ التى فى الصُّدورِ ﴾ [1]. وعلى فرض أن أحداً قال بذلك فقوله مردود عليه بالبداهة إذ قوله مخالف للوارد عن رسول الله ﷺ وأصحابه وأئمة الدين أو محمول على حث المريد على تحصيل معالى الأمور لا على ترك العذبة حتى يبين كرامة كما توهمه بعض المغفلين الذين ذهبت بهم فى مراحيض الجهل الشياطين . وكذا لا تغتر بقول بعض السفهاء : زر الطربوش جرت به العادة وقيل بجواز لبســه فنلبسه تقليداً لذلك القيل ونحو ذلك من الهذيان الذى لايعول عليه إنســان . (وتتبع) أفعال النبى ﷺ والعمل بها هو الطريقة[2] (كما أن) التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطنا [3] فيرى حُكمها من الظاهر فى الباطن ومن الباطن فى الظاهر فيحصل من الحكمين كمال لم يكن بعده كمال (واعلم) أن طلب الكمال من أشرف الخصال والكمال هو التخلى عن

(١) سورة الحج آية : ٤٦ .

(٢) الشريعة ، الطريقة ، الحقيقة : مسميات ثلاث عن مضامينها وإدراك العلاقة بينها نقول : الشريعة : علم الأحكام . والطريقة : تطبيق الأحكام . والحقيقة : ثمرة العمل بمقتضى العلم وإن شئت فقل : الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده .

(٣) ومدار التصوف على صدق التوجه إلى الله على كل حال . لذا عدّه الإمام مالك رضى الله عنه ـ قسيم الفقه فقال : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسّق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق . وصدق رضى الله عنه فلا تصح عبادة إلا بعلم وإخلاص .

الأوصـاف الذميمـة والتحـلى بالأوصـاف الحميـدة .

(والأوصاف الذميمة) هى : الجهل والغضب والحقد والحسد والبخل والتعاظم والتكبر والعجب والغرور والرياء وحب الجاه والرياسة وكثرة الكلام والمزاح والتفاخر والضحك والتقاطع وتتبع العورات والأمل والحرص وسوء الخلق ونحو ذلك .

(والأوصاف الحميدة) العلم والحلم وصفاء الباطن والكرم والتذلل والرفق والتواضع والصبر والشكر والزهد والتوكل والحياء والرضا والإخلاص والصدق والمراقبة والمحاسبة والتفكر والشفقة على الخلق والحب فى الله والتأنى فى الأمـور والبكاء والحـزن وحب الخمـول[1]وحب العـزلة وسـلامـة الصـدر وقلة الكلام والخشوع والخضوع والحضور وانكسار القلب[2] وحسن الخلق ونحو ذلك .

= واعلم أن فائدة هذا العلم تهذيب القلوب ، ومعرفة علام الغيوب ، ومن هنا ظهرت فضيلته لما تعلق هذا العلم بمعرفة الذات العليّة ، لذا قال الشيخ الصُقلّى رحمه الله تعالى: كل من صدّق بهذا العلم فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عبّر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذى لا يدرك .

(١) الخمـول : ضـد الظهـور أى الاختـفـاء بفـعل القُربات فـلا يتظاهر بالقُربة إلا الأدعيـاء أرباب النفـوس ، فلذا قـال العارف بالله تعالى سـيدى أحـمـد بن عطاء الله السكندرى : [إدفن وجودك فى أرض الخمول ، فمـا نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه] الحِكَم العطائية.

(٢) إنكسار القلب لحضرة الله عز وجل هو عين تحقيق العبودية .

(واعلم) أنه لا يحصل لك الكمال المذكور إلا بتجديد التوبة فى كل وقت التى ندبك الله إليها قال تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾[2] فإذا أردت التوبة فينبغى لك أن لا تخلو من التفكر طول عمرك فتنظر فيما صنعت فى نهارك فإن وجدت طاعة فاشكر الله تعالى عليها وإن وجدت معصية فوبخ نفسك عليها واستغفر الله وتب إليه فإنه لا أنفع لك من مجلس توبخ فيه نفسك ولا توبخها وأنت ضاحك بل وبخها وأنت مجد صادق ، حزين القلب ذليل فإذا فعلت ذلك أبدل الله تعالى الحزن فرحاً والذل عزاً والظلمة نوراً والحجاب كشفا ، ولا يخفى عليك أنه إذا كان لك وكيل يحاسب نفسه كل يوم فأنت لا تحاسبه كذلك ربك إذا حاسبت نفسك فى الدنيا كنت فى الآخرة فى أمان من الحساب ولا ريب أن المعاصى تسود القلب وتورث الذل والحجاب والتوبة إلى الله تعالى تزيلها فتتبدل الظلمة بالنور والذل بالعز والحجاب بالكشف . قال العارف ابن عطا الله السكندرى[3] ولا تقع فى الوبال إلا بتركك متابعة رسول الله ﷺ ولا تحصل لك

---

(١) سورة النور آية : ٣١ . (٢) سورة البقرة آية : ٢٢٢

(٣) هو تاج الدين وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله ، الجزامى نسباً ، المالكى مذهباً ، الاسكندرى داراً الشاذلى طريقة أعجوبة زمانه ونخبة عصره وأوانه . كان رضى الله عنه جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث وفقه ونحو وأصول وغير ذلك . بشره شيخه أبو العباس المرسى بقول : والله ليكونن لك =

الرفعة عند الله تعالى إلا بمتابعة النبى ﷺ والمتابعة له عليه الصلاة والسلام على قسمين جليّة وخفيّة : فالجلية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد . والخفية أن تعتقد الجمع فى صلاتك[١] والتدبر فى قراءتك فإذا فعلت الطاعة كالصلاة والقراءة ولم تجد فيها جمعا ولا تدبراً فاعلم أن بك مرضاً باطناً من كبر أو عجب أو غير ذلك قال الله تعالى: ﴿ **سأصْرِفُ عنْ آياتِىَ الذّيَن يتكبرُونَ فى الأرضِ بغيرِ الحقِ** ﴾ [٢] فيكون مثالك كالمحموم الذى يجد فى فمه السكر مرّاً . فالمعصية مع الذل والانكسار خير من الطاعة مع العز والاستكبار . قال الله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم : ﴿ **فمنْ تَبعني فإنّهُ منىّ** ﴾ [٣] فمفهوم هذا أن من لم يتبعه ليس منه، وقال تعالى حكاية عن سيدنا نوح صلى الله عليه وسلم : ﴿ **إنَّ ابنى منْ أهْلى** ﴾[٤] فأجابه سبحانه وتعالى

= شأن عظيم . وقال له مرة : إلزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين (يريد مذهب أهل الحقيقة وأهل الشريعة) . كان رحمه الله متكلما على طريق أهل التصوف فانتفع به خلق كثير . ومؤلفاته خمسة هى : التنوير فى اسقاط التدبير ولطائف المنن وتاج العروس ومفتاح الفلاح والقول المجرّد فى الاسم المفرد والحِكَم . توفى رحمه الله فى جمادى الآخر سنة ٧٠٩هـ

(١) أى فان عن شهود السوى وحاضر بكُليتك فى حضرة ربك عز وجل .

(٢) سورة الأعراف اية : ١٤٦

(٣) سورة إبراهيم آية : ٣٦

(٤) سورة هود آية : ٤٥ ـ .

بقوله: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[1] فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع وإن كان أجنبياً كسلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم: « سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْت »[2] ومعلوم أن سلمان من أهل فارس ولكن بالمتابعة قال عنه النبى ﷺ وذلك تعليماً . فكما أن المتابعة تثبت الإتصال عدمها يثبت الإنفصال ومن أجل ذلك قال صلى الله عليه وسلم: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ عَمِلَ بِسُنَّةِ غيرنا»[3] وقالت الأئمة : إذا تردد الأمر بين سنة وبدعة كان تركه مطلوباً وبالأولى إذا تردد بين الجواز والحرمة أو الكراهة خلافا لغالب أهل هذا الزمان حيث يرتكب أحدهم الشيء المحرم بصريح سنة رسول الله ﷺ ونصوص أئمة الدين ويقول أنا رأيت قولا بكراهة فعل ذلك فأنا أقلده وإن كان ضعيفا ومن قلّد عالما لقى الله سالما أ. هـ .

فتأمل أيها العاقل فى مقال أهل زمانك تجده قاضياً عليهم بأنهم لا يفلحون فقد جمع الله عز وجل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه متابعة النبى ﷺ[4] فتابعه بالقناعة بما رزقك الله

---

(١) سورة هود آية : ٤٦ .

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك (٥٩٨/٣) وصححه االسيوطى وقال الذهبى : سنده ضعيف .

(٣) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس (٤١٥/٣) ورمز السيوطى إلى ضعفه ، فيه يحيى الحمانى ، ويوسف بن ميمون ضعيفان . فيض القدير (٣٨٧/٥) .

(٤) من غرر حِكَمِ الشيخ رضى الله عنه وسيأتى بعدها جملة من حِكَمِه الغاليات .

تعالى والزهد والتقلل من الدنيا وترك ما لا يعنى من قول وفعل ، فمن فتح له باب المتابعة فذلك دليل علي محبة الله له قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ويغفرْ لكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1]. وإذا طلبت الخير كله فقل : اللهم إنى أسألك المتابعة لرسولك صلى الله عليه وسلم فى الأقوال والأفعال ، ومن أراد ذلك فعليه بعدم الظلم لعباد الله فى أعراضهم وأنسابهم وأموالهم ، فلو سلموا من ظلم بعضهم بعضا لانطلقوا إلى الله ولكنهم معوقون كَالمدْيان [2] بسبب من يطلبه ، ألم تر أنك لو كنت مقربا من الملك وجاء من يطلبك بدين يحصل لك الضيق الشديد ولو كان الدّين قدرا يسيرا ، فكيف بك إذا جئت يوم القيامة ومائة ألف إنسان أو أكثر يطلبونك بديون مختلفة من أخذ مال وقذف عرض وغير ذلك[3] المصاب حقا من محقته الذنوب والشهوات هذا هو المُعزّى ذهبت مآكله وشهواته ملأ بها المرحاض وأرضى بها زوجته وياليتها كانت من حلال .

---

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

(٢) المدْيان : هو من كانت عادته أن يأخذ بالدين ويستقرض . مختار الصحاح ١/ ٩١

(٣) يستلهم الشيخ رحمه الله حديث المصطفى ﷺ « أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » مسلم . نووى (١٦/ ١٣٥ - ١٣٦) . تحريم الظلم .

فأول المقامات التوبة ولا يقبل ما بعدها إلا بها .

(واعلم) أن المعصية تتضمن نقض العهد وتحليل عقْد الود (ومثل) من أنفق عافيته وصحته فى معصية الله كمثل من خلّف له أبوه ألف دينار فاشترى بها حيات وعقارب وجعلها حوله تلدغه هذه مرة وتلسعه هذه أخرى أفما تقتله (ومن المعلوم) أن من أماتته الغفلة لم ترده الحوادث ، كالمرأة الناقصة العقل يموت ولدها وهى تضحك ، كذلك أنت تصاب بحرمانك من قيام الليل وصيام النهار وغير ذلك من الطاعات ولا تتألم ، وما ذلك إلا لكون الغفلة قد أماتت قلبك ، لأن الحى يؤلمه نقر الإبرة ولو قطّع الميت بالسيوف لم يتحرك فأنت حينئذ ميّت القلب . فجاهد نفسك بكثرة العبادة حتى يحيا .

(واعلم) أن العمل فى الغفلة خير من الغفلة عنه ، فاغتنم أوقاتك بالطاعة واصطبر عليها ، وإن أردت المعصية فاطلب مكاناً لا يراك فيه ربك واطلب قوة من غيره تعصيه بها ولا يمكنك ذلك أبداً إذ هو مستحيل . (يكفيك) من الغفلة والإدبار إقبالك على الدنيا مع أنها فتنة وأكدار واتباعك هوى نفسك الزمن الطويل مع أنها لا تميل بك إلا إلى مهاوى الهلاك والتضليل مع أنك لو صحبت شخصاً بعض أيام ولم تر منه نفعاً تبادر إلى مفارقته ولم تقرئه السلام . فتب إلى مولاك * وقل يا نفس ارجعى عن هذا الهلاك * فأبدلى الشهوات بالطاعات *

والغفلات بالمشاهدات فإذا صنعت ذلك تبدلت أحوالك فيكون بدل الجلوس فى الحارات * الجلوس فى الخلوات * والأنس بالمخلوقين * الأنس برب العالمين * ومعاشرة الأشرار * مصاحبة الأخيار * والسهر فى الإضاعة * السهر فى خالص الطاعة * والإقبال على الدنيا الفانية * الإقبال على ما به فلاحك فى الدار الباقية * وهكذا كل وصف ذميم * بضده النافع العظيم .

قال الأكابر : العجب كل العجب من عبد يُقْبِلُ على صحبة نفسه ولا يأتيه الشر إلا منها ويترك صحبة الله ولا يأتيه الخير إلا منه وصحبة الله تعالى امتثال أوامره واجتناب نواهيه .

(أيها الإنسان) **أين عقلك** إن شَغَلَكَ هَمُّ رزقك عن عبادة مولاك . مع كونه سبحانه وتعالى هو الذى على موائد بره فى بطن أمك رباك . من غير حول منك ولا قوة ولا من أمومة ولا أبوة ولا أخوة . **أين عقلك** إن لم تتخلص من هلاك الجهل . بتحصيل العلم الذى هو عين كل الفضل . **أين عقلك** إن لم تعمل بعلمك على الوجه الحسن .فتعذب عذاباً شديداً قبل عباد الوثن . **أين عقلك** إن فعلت البدع وأصحابها كلاب النار . وتركت السنن وذووها هم أتباع السيد المختار . **أين عقلك** إن صحبت الجهلة والمخالفين . وتباعدت عن أهل العلم العاملين . **أين عقلك** إن غفلت عن الطاعات . واشتغلت بالمباح أو المخالفات . **أين عقلك** إن اشتغلت

بدار الأكـدار وغفـلت عن دار السرور دار القرار. **أين عقلك** إن لم تصـبر على قضاء رب الأرباب * وقد قـال الله تعالى :

﴿ إنّمـا يُوفَّى الصّابرُونَ أجْرهُمْ بغـيْرِ حسَابٍ ﴾ [1] . **أين عقلك** إن ضـاق صـدرك من البـلايا ، وهي من الرؤف الرحـيم الحكيم هدايا . **أين عقلك** إن رمْتَ السعـادة . مع غـفلتك في الأسحار عن العبادة . **أين عقلك** إن أردت المشاهدة . مع كـونك متقاعدا عن المجاهدة . **أين عقلك** إن رمْتَ الفتـوح . مع كـون قلبك منطوياً على أى وصف مقبـوح . **أين عقلك** إن لـم تقـبل نصـيحـة الناصحين . مع دعـواك أنك من المؤمنين . وهكذا من الأحـوال التى شرحـهـا طويل . ومن أراد الله تعالى هدايته يتنبـه للكثير بذكر القليل .

* * *

(١) سورة الزمر آية ١٠

علامات المريد الصادق

وأذكر لك أيها الإنسان بعض مقال العارفين ، لتعلم هل أنت من الصادقين أم من الكاذبين .

(قال) داود الطائى [1] : من علامة المريد الصادق من الفقهاء أن لا يزاحم فى فهم ولا جدال بل يحضر مجالس العلماء ويوهمهم أنه لا يعرف شيئاً مما يقولون وذلك واجب عليه حتى يبلغ مبلغ الرجال ويؤذن له فى الكلام .

(وقال) من علامة المريد الصادق أن لا يمشى خطوة فى هوى نفسه حياء من ربه عز وجل .

---

(١) أبو سليمان داود بن نصير الطائى رحمه الله ت ١٦٦ هـ بالكوفة .
كان إماماً فقيهاً ذا فنون عديدة لم تعبّد وآثر الوحدة وأقبل على شأنه وساد أهل زمانه . قاله الذهبى قيل له : أما تشتهى الخبز ؟ فقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية .
وقال له رجل أوصنى . فقال له : عسكر الموت ينتظرونك .
وقال له آخر أوصنى . فقال : صم عن الدنيا ، واجعل فطرك الموت وفرّ من الناس كفرارك من السبع .
ورآه بعض الصالحين فى منامه وهو يعدو فقال : مَالَكَ ؟ فقال : الساعة تخلصت من السجن . فانتبه الرجل من منامه ، فارتفع الصياح بقول الناس : مات داود الطائى .
الرسالة القشيرية (١/٨١ ـ ٨٤) .

(وقال) أبو يزيد[1] : شرط المريد الصادق أن تذهب عنه شهوة النساء حتى لا يبالى أستقبلته امرأة أم حائط . وقال : من شرط المريد الصادق أن لا يخل بأدب من آداب الشريعة إلا سهوا لا كسلا

(وقال) يونس ابن الحسين[2] : آفة المريد فى ثلاث محبة الأحداث ومباشرة الأضداد ومرافقة النسوان وكل مريد اشتغل بالرخص فهو كاذب فى إرادته .

---

(١) أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى رحمه الله ت ٢٦١ هـ .

ذكر ابن عربى أنه كان القطب الغوث فى زمانه ، تكلم فى دقائق المعارف فأنكر الناس عليه ، وأنى لأمىّ أن يدرك كلام العارف القارف .

دخل عليه أحدهم فقال : يا أبا يزيد علمك هذا عمن وممن ومن أين ؟ فقال رحمه الله تعالى : علمى من عطاء الله وعن الله ومن حيث قال رسول الله ﷺ : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ومن كمال محبته لله تعالى أن يحيى بن معاذ كتب إليه : إننى سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته ! فكتب أبو يزيد إليه : غيرك شرب من بحار السموات والأرض ، وما روى بعد ولسانه خارج يقول : هل من مزيد .

وعن أصول سيره إلى الله قال : رأيت رب العزة فى النوم فقلت يا رب ، كيف أجدك؟ فقال : فارق نفسك وتعال إلىّ .

وكان يقول : عرفت الله بالله ، وعرفت ما دون الله بنور الله . الطبقات الكبرى (٦٥/١) الرسالة (٨٨/١ ـ ٩١) .

(٢) يوسف بن الحسين أبو يعقوب الرازى رحمه الله ت ٣٠٤ هـ .

شيخ الرىّ والجبال فى وقته . من كلامه رحمه الله : لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحبُّ إلىّ من أن ألقاه بذرّة من التصنّع .

وكتب إلى الجنيد : لا أذاقك الله طعم نفسك ، فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبدا : الرسالة (١٣٧/١)

(وقال) أبو حفص الحداد[1] : علامة المريد الكاذب أن يحب السماع ثم إذا استمع فهو كالشجرة التى انتهى ثمرها يقع كله بالهزّ .

(وقال) أبو تراب[2] : إذا رأيتم من يدعى الصدق فى الإرادة ثم يطلب الأكل بعد جوعه ثلاثة أيام فهو كاذب لا يجئ منه شىء .

(وقال) حمدون القصّار[3] : من علامة صدق المريد إذا دخل

---

(١) أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد النيسابورى رحمه الله ت ٢٧٠ هـ .
كان أوحد الأئمة الفخام والسادة الكرام . من كلامه رحمه الله : المعاصى بريد الكفر كما أن الحمىّ بريد الموت . وقال : حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن. وقال : من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره فلا نعده فى ديوان الرجال . الرسالة (١٠٦/١)

(٢) أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى رحمه الله ت ٢٤٥ هـ .
من أجلّه مشايخ خراسان عرف بالعلم والفتوة والزهد والتوكل والورع صحب حاتما الأصم وأبا حاتم العطار، من كلامه رحمه الله : الفقير قوته : ما وجده ولباسه : ما ستره، ومسكنه : حيث نزل . وكان يقول : لا ينبغى لفقير قط أن يضيف إلى نفسه شيئاً من المال قط ، ألا ترى إلى موسى عليه السلام حيث قال هى عصاى وادّعى الملك لها قال الله عز وجل له الق عصاك ، فلما قلب العين فيها لجأ وهرب فقيل ارجع ولا تخف . وقال رضى الله عنه : رأيت رجلاً بالبادية فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا الخضر الموكلّ بالأولياء أردُّ قلوبهم إذا شردت عن الله عز وجل ، يا أبا تراب ، التلف فى أول قدم ، والنجاة فى آخر قدم . الرسالة (١٠٨/١ ـ ١٠٩) الطبقات (٧١/١) .

(٣) أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار النيسابورى رضى الله عنه (ت٢٧١هـ) .
كان شيخ الملامتيه بنيسابور ومنه انتشر مذهبهم ، تفقه على مذهب الثورى رحمه

على شيخه كأنه داخل على سلطان جائر يخاف سطوته .

(وقال) الجنيد[1] : من علامة المريد الصادق ترك القيل والقال وترك الدنيا وقطع مألوفاتها حتى لا يصير له شهوة لشيء منها .

(وقال) أبو عثمان الحيرى[2] : من آداب المريد الصادق إذا

= الله ، ومن كلامه : من نظر في سيرة السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات الرجال . وقال : لا تفش على أحد ما تحب أن يكون مستوراً منك . وقال : جمال الفقير في تواضعه فإذا تكبر فقد زاد على الأغنياء في الكِبر . الرسالة (١/١١٤ ـ ١١٥) الطبقات (١/٧٢) .

(١) أبو القاسم الجُنيد بن محمد الزجاج رضى الله عنه ت ٢٩٨ هـ .

قال ابن عربى في الفتوحات هو سيد أهل الطائفة ، كان من الفقهاء المتعبدين على مذهب الشافعي ، أخذ ذلك من أبي ثور صاحب الشافعي . كان الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والفقهاء لتقريره ، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه ، والمتكلمون لتحقيقه، والصوفية لإشاراته .

وكان يقول : مذهبنا هذا (التصوف) مقيّد بأصول الكتاب والسنّة . وقيل له : أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟ فقال : طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه . وكان يقول: يجعل أحدهم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة ؟! ومن حكمه : الإخلاص سرٌ بين العبد وربه لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيهلكه . وكان يقول : من فتح على نفسه باب نية حسنة فتح الله عليه سبعين باباً من التوفيق ، ومن فتح على نفسه باب نية سيئة فتح الله عليه سبعين باباً من الخذلان من حيث لا يشعر ـ الرسالة (١/١١٦ ـ ١١٩) ، الطبقات (١/٧٢) .

(٢) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى رضى الله عنه ت ٢٩٨ هـ .

أصله من «الرى» ثم ورد نيسابور فأقام عند أبي حفص الحداد وتخرج به وتزوج ابنته. ومن كلامه رضى الله عنه : لا يكمل إيمان الرجل حتى يستوى في قلبه أربعة أشياء : المنع والإعطاء والعزّ والذلّ . =

طرده شيخه عن مجلسه أن لا تنقص حرمته عنده ، قال : وقد طردني شيخي مرة وأنا شابٌ فقمت من عنده مقهقراً ولم أوله ظهري وانصرفت إلى ورائي ووجهي إلى وجهه حتى غبت عنه ثم جعلت على نفسي أن أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره فلما رآني كذلك أدناني وجعلني من خواص أصحابه .

وقال: من علامة المريد الصادق أن لا يخرج عن السنة حال سماعه وتواجده فمن مزق له قميصا في حال سماعه فهو كاذب منافق مرائي للورى .

(وقال) أبو العباس ابن مسروق[1] : من علامة المريد الصادق أن لا يرى على وجه الأرض أحداً أحبَّ إليه من شيخه فإن قدّم عليه زوجة أو ولداً لم يشم من طريق الحق رائحة وهو كاذب .

= وقال رحمه الله : منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ، ولا نقلني إلى غيره فسخطه . وكان يقول : من أمّر السنّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلا نطق بالبدعة ، قال الله تعالى ﴿ وإنْ تُطيعُوهُ تهتدوا﴾ وكان يقول : أنت في سجن ما تبعت مرادك فإذا فوضت وسلّمت استرحت ـ الرسالة (١/١٢٠ ـ ١٢٢) ، الطبقا ت (١/٧٤) .

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق رضى الله عنه ت ٢٩٨ هـ .

من أهل «طوس» سكن بغداد وصحب الحارث المحاسبي والسريّ السقطي من كلامه : من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله تعالى في حركات جوارحه . وقال : شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة ، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل ، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة ، وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق والموافقة . وقال : من كان مؤدبه ربه لا يغلبه أحد : الرسالة (١/١٤٢) ، الطبقات (١/٨٠) .

وفى الحديث : « لا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ حتى أكونَ أحبَّ إليْه منْ ماله وولدِه والنّاسِ أجْمعينَ »[1] فهو للأشياخ بحكم الإرث.

(وقال) ابن الصائغ[2] : من صفات المريد الصادق عدم الاشتغال بأحد دون الله ولو بالخطاب .

(وقال) الشبلى[3] : كل مريد مَهَّدَ لهُ فِرَاشاً عند النوم فهو

(١) متفق عليه رواه البخاري . الإيمان (٧٥/١) فتح البارى ، رواه مسلم (١٥/٢) نووى ولفظه « لا يؤمنُ أحدكُمْ حتى أكون أحبَّ إليه منْ ولدِه ووالدِه والنّاس أجْمعين » .

(٢) أبو الحسن على بن محمد بن سهل بن الصائغ الدِّينَوَرى رضى الله عنه ت ٣٣٠ هـ .

من كبار المشايخ أقام بمصر ومات بها وكان يهابه من يراه . من كلامه : محبتك لنفسك هى التى تهلكها .

وقال الأحوال كالبروق فإذا ثبتت فهو حديث النفس وملازمة الطبع. وسُئل عن الاستدلال بالشاهد على الغائب فقال : كيف يستدل بصفات من له مثل ونظير على من لا مثل له ولا نظير . وقال : من تعرض لمحبة الله تعالى جاءته المحن والبلايا والآفات من سائر الأقطار ـ الرسالة (١٥٣/١) ، الطبقات (٨٧/١) .

(٣) أبو بكر بن جحدر الشبلى رضى الله عنه ت ٣٣٤ هـ .

كان شيخ وقته علماً وحالاً وظرفاً . صحب الجنيد رحمه الله وتمذهب بمذهب المالكية ، بغدادى المولد وبها قبره . من كلامه : ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق . وقال : ليس من جذبته أنوار قدسه إلى أنسه كمن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته . وقيل له كيف الدنيا : فقال قدر يغلى ، وكَنِيفٌ يملأ . وقال له رجل من أنت ؟ قال : النقطة التى تحت الباء .. وقال : إن أردت أن تنظر إلى الدنيا فانظر إلى نفسك ، فخذ كفاً من تراب ، فإنك منه خلقت وفيه تعود . ولاموه رحمه الله فى قلة النوم. فقال : سمعت الحق يقول لى : من نام غفل ومن غفل حجب وكان هذا سبب اكتحاله بالملح ـ الرسالة (١٥٩/١ ـ ١٦٠) الطبقات(٨٩/١ ، ٩٠) .

كسلان لا يصح لخدمة الملوك ، ووالله لقد اكتحلت بالملح في بعض الليالي كذا مرة حتى تعوّدت نفسي السهر ، ولقد كنت أدخل سرداباً ومعي حزمة من أغصان الخيرزان فلما جاءني النوم أضرب نفسي بها وربما فنيت كلها قبل الصباح فأضرب يدي ورجلي في الحائط .

(وقال) أبو علي الرُّوذْبارِي[1] : كل مريد ترخص في سماع الملاهي فهو كاذب . وقال : من علامة المريد الكاذب أن يسامحه الحق تعالى في الهفوات فليكن على حذر .

(وقال) الثقفي[2] : من علامة المريد الصادق غض بصره

---

(١) أبو علي أحمد بن محمد الرُّوذْباري رضي الله عنه ت ٣٢٢ هـ .

من ذرية كسرى أصله من بغداد ثم سكن مصر ومات بها ودفن بقرافة سيدي عقبة بن عامر رضي الله عنه . كان حافظاً للحديث عارفا بالطريقة ، قال أبو علي الكاتب : ما رأيت أحداً أجمع لعلم الشريعة والحقيقة منه . كان يقول : لو تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد لما بقي محبٌ إلا مات . ومن كلامه : ما ادّعى أحد قط إلاّ لخُلُوِه عن الحقائق .. ولو تحقق في شيء لنطقت عنه الحقيقة وأغنته عن الدعاوي . وسئل عن التصوف فقال : هو صفوة القرب بعد كدورة البعد ـ طبقات الشافعية (٤٨/٣) ـ الطبقات (٩١/١) .

(٢) أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي رضي الله عنه ت ٣٢٨ هـ .

إمام وقته علماً وحالاً صحب أبا حفص وحمدون القصار ، وبه ظهر التصوف بنيسابور ومن كلامه : من لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ، ورعونات نفسه لايجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات .

وقال : لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صوابا ومن صوابها إلا ما كان خالصا ، ومن خالصها إلا ما كان موافقاً للسنة . =

كلما خرج إلى السوق أو تقنعه بردائه حتى لا ينظر إلا إلى مواقع قدميه كما يفعل الرهبان .

(وقال) إبراهيم بن شيبان[1] : من أراد من المريدين أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص .

(وقال) ابن خفيف[2] : ليس أضر بالمريد من مسامحة النفس

وقال : ليس شيء أولي بأن تمسكه من نفسك ولا شيء أولي بأن تغلبه من هواك .
وقال : من غلبه هواه توارى عنه عقله . وكان يقول : الغفلة وسعت على الناس الطرق في معاشهم وأفعالهم وأحوالهم والورع والبقظة ضيقا عليهم ذلك ـ الرسالة (١٦٤/١) الطبقات (٩١/١ ـ ٩٢) .

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرميسيني رضى الله عنه ت ٣٣٠ هـ .

قال المناوى : كان شيخ الجبل في زمانه ، شديداً على المدّعين متمسكاً بالكتاب والسنّة ملازماً طريق الأئمة .

ومن كلامه : قال لى أبى : يا بنى تعلم العلم لآداب الظاهر ، واستعمل الورع لآداب الباطن ، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل .

وقال : إذا دخل الخوف قلباً أحرق مواضع الشهوات منه . الرسالة (١٧٤/١) ـ الطبقات (٩٧/١) .

(٢) أبو عبد الله محمد بن خفيف بن إسفكشاد الضبى الشيرازى الشافعى رضى الله عنه ت ٣٧١ هـ .

هو شيخ الشيوخ وواحد وقته ، كان من الأمراء ثم تفقه وتصوف وتزهد ، وأقام بشيراز مثل رضى الله عنه عن القرب فقال : قربك بملازمة الموافقات ، وقربه منك بدوام التوفيق . وكان يقول : التصوف تصفية القلوب ومفارقة أخلاق الطبيعة وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسية ومنازلة صفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة والنصح لجميع الأمة واتباع النبى ﷺ فى الشريعة ـ الرسالة (١٨٤/١ ـ ١٨٥) ، الطبقات (١٠٣/١) .

فى ركوب الرخص وقبول التأويلات .

(وقال) النصر اباذى[1] : كل مريد جالس النسوان فهو كاذب ، فإنه مادامت الأشياخ باقية فإن الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مُخَاطَبٌ به ولا يتجرى على الشبهات إلا من تعرّض للمحرمات .

(وقال) أبو على الرُّوذْبارى : من علامة المريد الصادق إذا دُعى إلى وليمة مع شيخه أن يأكل طعاماً قبل أن يذهب حتى لا يصير له نهمة إلى الأكل صيانة للخرقة .

(وقال) أبو على الدقاق : كل مريد رجع لمحادثة الإخوان[2] الذين كان يحدثهم قبل الدخول فى الطريق وعاشرهم على ما كان عليه أولاً فهو كاذب فى إرادته . وقال : كل مريد لم يكن له فى بدايته مجاهدة لم يجد من هذه الطريق شمّة . وقال : ما ثم

---

(١) أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر اباذى رضى الله عنه ت ٣٦٩ هـ .
أحد شيوخ خراسان وكان عالماً بالحديث كثير الرواية جاور بمكة ومات بها .
من كلامه : أنت بين نسبتين : نسبة إلى الحق ونسبة إلى آدم ، فإذا انتسبت إلى الحق دخلت فى مقامات الكشف والبراهين والعظمة ، وهى نسبة تحقق العبودية قال الله تعالى ﴿ وعبادُ الرحْمانِ الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ وقال : ﴿ إنَّ عبادى ليس لك عليهمْ سُلْطانٌ ﴾ وإذا انتسبت إلى آدم دخلت فى مقامات الظلم والجهل ، قال الله تعالى : ﴿ وحَمَلَها الإنسانُ إنَّهُ كان ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ . ومن كلامه : الأشياء أدلة منه ، ولا دليل عليه سواه ـ الرسالة (١/١٩٣ ـ ١٩٤) .
(٢) أى إخوان السوء .

شيء أدل على حصول السعادة للمريد من مداومة الذكر فمن وفق للمداومة على الذكر فقد أعطى منشور الولاية . وقال : الذكر سيف للمريدين به يقاتلون أعداءهم وبه يدفعون الآفات التى تقصدهم .

(وقال) أبو عثمان المغربى[1] : من ظن من المريدين أن يفتح عليه شيء من أحوال القوم بغير مجاهدة فهو غالط ، وقال من لم يكن له فى بدايته قوة لم يكن له فى نهايته جلسة .

(وقال) أبو يزيد : من علامة المريد الصادق أن يرى الخلق كلهم موتى فيكبر عليهم أربع تكبيرات وذلك أن النظر إليهم يشغل قلب الفقير .

(وقال) السقطى[2] : يا معشر الشباب جِدُّوا قبل أن تبلغوا

---

(١) أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى رضى الله عنه ت ٣٧٣ هـ .
واحد عصره ، لم يوصف مثله قبله ، من القيروان أقام بالحرم الشريف مدة لم ورد نيسابور ومات بها .
من كلامه : من حفظ جوارحه تحت الأوامر فهو فى اعتكاف على الدوام . وقال : عاص نادم خير من طائع مدّع ، لأن العاصى يطلب طريق توبته ويعترف بنقصه ، والمدعى يتخبط فى حبال دعواه . وقال : الصوفى من يملك الأشياء اقتداراً ولا يملكه شيء إقهاراً . وقال : ليكن تدبُّرك فى الخلق تدبر عبرة وتدبُّرك فى نفسك تدبر موعظة ، وتدبُّرك فى القرآن تدبر حقيقة ومكاشفة ـ الرسالة (١/١٩١ ـ ١٩٢) الطبقات (١/١٠٤ ـ ١٠٥) .

(٢) أبو الحسن سَرِىُّ بنُ المغلّس السَقَطِىُّ رضى الله عنه ت ٢٥١ هـ .
كان أوحد زمانه فى الورع والأحوال السنية وعلوم التوحيد ، وإمام البغداديين =

مبلغى فتضعفوا عن العبادات ؛ قال الجنيد : وكنا فى ذلك الوقت لا نلحقه . وكان يقول : مبنى أمر المريد على ثلاثة أشياء : أن لا يأكل إلا عند الفاقة ، ولا ينام إلا عند الغلبة ، ولا يتكلم إلا عند الضرورة .

= وشيخهم ، تتلمذ لمعروف الكرخى رضى الله عنه وسمع الحديث من الفُضيل وهو خال الجنيد وأستاذه .

كان يتجر في السوق فجاءه معروف الكرخى يوماً ومعه صبى يتيم فقال : اُكْسُ هذا اليتيم . قال سرىٌ : فكسوته ، ففرح به معروف وقال : بغّض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه .. فقمت من الحانوت وليس شىء أبغض إلىّ من الدنيا .. وكلٌ ما أنا فيه من بركات معروف .

وقال الجنيد : ما رأيت أعبدَ من السرىّ : أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعاً إلا فى علة الموت . وقال الجنيد : سألنى السرىٌ يوماً عن المحبة ؟ فقلت : قال قوم : الموافقة . وقال قوم الإيثار . وقال قوم : كذا .. وكذا ، فأخذ السرى جلدة ذراعه ومدّها فلم تمتدّ ثم قال : وعزّته تعالى ، لو قلت إن هذه الجلدة يبست على العظم من محبته لصدقت .. ثم غشى عليه فدار وجهه كأنه قمر مشرق . وقال رضى الله عنه : لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر : يا أنا . وقال السرىٌ : أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة . فقال الجنيد : ما هو ؟ فقال : لا تسأل من أحد شيئاً ولا تأخذ من أحد شيئاً ولا يكن معك شىء تعطى منه أحداً .

وقال الجنيد : سمعت السرىٌ يدعو فيقول : اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذُل الحجاب . ومن كلامه رضى الله عنه : إحذر أن تكون ثناءً منشوراً .. وعيباً مستوراً.

وقال : أقوى القوة أن تغلب نفسك ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز .. وقال من أنس بربه فى الظلام نشرت عليه غداً الأعلام . وكان يقول : خصلتان يُبعدان العبد من الله تعالى : أداء نافلة بتضييع فريضة وعمل بالجوارح من غير صدق بالقلب .

توفى ببغداد ودفن بالشونيزيه رحمه الله رحمة واسعة ـ الرسالة (١/٦٩ ـ٧٢) الطبقات (١/٦٣ ـ ٦٤) .

(وقال) ابن نجيد[1] : كل مريد يكرم نفسه ويدافع عنها فهو كاذب في دعواه الإرادة ..

(وقال) الجنيد : كل مريد ركن لعادة الناس ومال إلى الشهوات فهو كاذب .

(وقال) ذو النون المصرى[2]: علامة المريد الصادق أن لا يفتر

---

(١) أبو عمرو إسماعيل بن نُجيد السُّلمي رضى الله عنه (ت ٣٦٦ هـ) .
كان من أكابر مشايخ الوقت ومن أكبر أصحاب أبى عثمان لقى الجنيد ، وأخذ الحديث عن أحمد بن حنبل ، وأسند الحديث ورواه وكان ثقة .
سئل رضى الله عنه عن التصوف فقال : الصبر تحت الأمر والنهى . وكان يقول : لا يصفو لأحد قدم فى العبودية حتى تكون أفعاله كلها عنده رياء وأحواله كلها عنده دعاوى . وقال من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله . وقيل له: من أين تتولد الدعاوى فقال من الاغترار وتشويش الأسرار . وقال رضى الله عنه : «الطمأنينة إلى الخلق عجز » .
توفى رحمه الله تعالى بمكة ودفن بها ـ الرسالة (١٨٢/١) الطبقات (١٠٣/١) .
(٢) أبو الفيض ذو النون المصرى هو ثوبان بن إبراهيم رضى الله عنه (ت ٢٤٥هـ)
كان نوبياً لم نزل ببلدة أخميم من ديار مصر . قيل له : يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك ؟ قال : عجب لا تطيقه . قال : بمعبودك إلا أخبرتنى . فقال ذو النون : أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى فنمت فى الطريق فى بعض الصحارى ، ففتحت عينى ، فإذا أنا بـ «قنبرة» (طائر) عمياء سقطت من وكرها على الأرض ، فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان « وعاءان» إحداهما ذهب والأخرى فضة وفى إحداهما سمسم وفى الأخرى ماء ، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا ، فقلت : حسبى قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى الله عز وجل . ومن كلامه رضى الله عنه : لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاماً. وقال : توبة العوام تكون من الذنوب ، وتوبة الخواص تكون من الغفلة . وقال : من وثق بالمقادير لم يغتم . وقال : الأنس بالله نور ساطع والأنس بالناس سم قاطع . وقال : علامة الإصابة مخالفة النفس ، وقال رضى الله عنه : =

عن ذكـر الله آناء الليل وأطراف النهـار طرفـة عين . وقـال : من عـلامـة المريد الصـادق أن يذكـر الله على كل حـال ولو لم يجـد حلاوة فى قلبه .

(وقال) ابن أبى الحوارى[1] : من عـلامة المريد الصـادق أن لو قال له شيخه : أدخل التنور ، دخل ثم إذا دخل لا يحترق ، فإن احترق فهو كاذب[2]

= العبودية أن تكون عبده فى كل حال كما هو ربك فى كل حال.

وقـال : مـدار الكلام على أربع : حب الجليل وبغض القليل ، واتبـاع التنزيل ، وخوف التحويل . وسئل عن السفلة فقال : من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه . وكان يقول : من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن تراه ساهياً لاهيا لاغيا معرضاً عن ذكر الله تعالى .

وسئل رضى الله عنه عن العلماء بالقرآن فقال : هم الذين نصبوا الركب والأبدان ، وصحبوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاه ذابلة ودموع وابلة وزفرات عالية أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . أفرد له شيخ الإسلام د. عبد الحليم محمود رحمه الله ـ تأليفا مستقلا، فليراجع .

توفى رضى الله عنه بالجيزة ورأى الناس طيوراً خضـراً ترفرف على جنازته ودفن بالقرب من مرقد سيدى عقبة بن عامر الصحابى الجليل ـ الرسالة (١/٥٨ ـ ٦١) الطبقات (١/٦٠ ـ ٦١) .

(١) أبو الحسين أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه (ت ٢٣٠ هـ)) ريحانة العارفين بدمشق ، صحب أبا سليمان الدارانى .

ومن حكمه : « لا دليل على الله سواه » ، ما ابتلى الله عبداً بشىء أشد من الغفلة والقسوة ، وكان يقول : الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب .. وأقل من الكلاب من علق عليها وخاصم أصحابه لأجلها ، فإن الكلب يأخذ منها حاجته وينصرف والمحب لها لا يتركها بحال ، وكلما بلغ منها مبلغا طلب ما بعده ـ الرسالة (١/١٠٥) الطبقات (١/٧٠) .

(٢) قاعدة التوحيد تقتضى بأنه (فعال لما يريد) فليست النار محرقة بطبعها =

(وقال) أبو بكر الزقّاق[1] : من علامة المريد الصادق أن لا يكتب عليه ملك الشمال خطيئة نحو ثلاثين سنة[2]

(وقال) أبو سعيد الخراز[3] : من علامات كذب المريد أن يرى قيامه أفضل من نوم شيخه ، ومن علامات صدقه أن يرى رياء

= ولا بقوة مودعة فيها وإنما الخالق للاحراق هو الله عند خلقه النار ، ولو شاء لخلقها دون إحراق ، كما حصل لسيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام. والشيخ بمقاله يخرج المريد من رسوم العلم الظاهر إلى كمال اليقين فى عظمة القادر .

(١) أبو بكر أحمد بن نصر الزقّاق الكبير رضى الله عنه : كان من أقران الجنيد ومن أكابر أولياء مصر ، وكان آية فى زهده وتبتّله وإقباله على حضرة مولاه حتى كأنه ينظر إلى الله بعينه .

ومن أقواله : لا يصلح هذا الأمر إلا لأقوام كنسوا بأرواحهم المزابل على رضا منهم واختيار رحمة الله رحمة واسعة ـ الطبقات (١/٧٦) ـ الرسالة (١/١٣١) .

(٢) ضرب الثلاثين مثلا لتمام الفرار إلى الله وندرة مقارفته للذنب ، وهو إن وقع استغفر وأناب « وخير الخطائين التوابون » فلا تكتب عليه السيئات فمثاله فى كتاب الله تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

(٣) أبو سعيد أحمد بن عيس الخرّاز رضى الله عنه (ت ٢٧٧ هـ) بغدادى من أئمة القوم وأجله المشائخ ، صحب ذا النون المصرى ، والسرى السقطى. ويعتبر من أول المتكلمين فى علم الفناء والبقاء .

وكان رضى الله عنه يقول : إذا أراد الله عز وجل أن يوالى عبداً فتح له باب ذكره ، فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجب فأدخله دار الفردانية ، وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا هو ، فحينئذ صار العبد فانيا ، فوقع فى حفظ الله ، وبرئ من دعاوى نفسه . وكان يقول : لا تغتر بصفاء العبودية فإنها فيها نسيان الربوبية . فقيل له : فما الخلاص ؟ قال : أن يشهد صنع الربوبية فى إقامة العبودية فينقطع عن نفسه ويسكن إلى ربه وهناك يسلم من الاستدراج .

الطبقات (١/ ٧٨ ـ ٧٩) .

شيخه أفضل من إخلاص نفسه[1]

(وقيل) لأبي عثمان : إنا نذكر ولا نجد في قلوبنا حلاوة ؟ فقال: احمدوا الله على أن زيّن جارحة من جوارحكم بطاعته وإلا فمن أين لكم التوصل إلى أن تذكروه على لسانكم سبحانه وتعالى.

(وقال) الشبلي : من علامة صدق المريد أن لا يقوم قط من مجلس الذكر إلا وقد استفاد من الحق أخلاقا. وكان يقول : من علامة صدق المريد اعتقاده أن شيخه جاسوس قلبه[2] يدخل في قلبه يعلم ما عنده ويخرج من حيث لا يحتسب .

(وقال) أبو علي الدقاق[3] : ليس من شأن المريد الصادق أن يسند ظهره إذا جلس . وكان يقول : الفقراء ملوك وكل مريد صحبهم بغير صدق قتلوه[4] . وكان يقول : من علامة المريد

(١) إذا رأى المريد أن قيامه أفضل من نوم شيخه فقد زل لإعجابه بنفسه وتعاليه بعبادته وهذا كافٍ برد عبادته عليه ، ونوم الشيخ على نية صالحة ليتقوى بنومه على القيام بالأسحار عبادة ورؤيته أن رياء شيخه أفضل من إخلاص نفسه ففيه قول الرسول ﷺ : « إنَّا لَنَهَشُّ في وجوهِ أقوام وقلوبنا تلعنهم » ولا شك في رفعة القدر المحمدى فوق كل قدرٍ .

(٢) تصديقاً لإشارة المعصوم ﷺ « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » رواه الترمذى .

(٣) أبو عليّ الدَّقَّاق رضى الله عنه .

الأمام الكبير والعلامة المحقق الجليل ، المتحقق بمقامات اليقين ، وأحد الذين رُزقوا الترجمة عن منازل السائرين ، الأستاذ المقدَّم لأبى القاسم القشيرى ، ومن أراد أن يقف على كمال تمييزه فليطالع الرسالة القشيرية رحمه الله رحمة واسعة .

(٤) من خان أولياء الله جرفه تيار « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب » رواه =

الصادق حفظ قلب شيخه عن التغير عليه لما هو عليه من شدة الأدب والسياسة والمحبة لشيخه ، ومن علامات الكاذب الاعتراض على شيخه ولو بقلبه ، وأجمع الأشياخ كلهم على أن عقوق الأستاذين لا توبة عنها فكل من صحب شيخاً واعترض عليه فقد نقض عقد الصحبة وخرج عن طريقته وانقطعت العلاقة بينهما .

(وقال) أبو عبد الرحمن السلمى[1] : من قال لأستاذه لِمَ لا يفلح أبداً . ومن ادعى الصدق من المريدين فى صحبة شيخه فليعرض على نفسه : لو جاء على يد شيخه تفرقة مال فأعطى

= البخارى . فتح (٣٤٨/١١) .

(١) العلامة أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السُلمى النيسابورى تربى فى حجر الإمام الجليل إسماعيل بن نجيد السلمى وهو جده لأمه وإليه انتسب ، وتتلمذ للحافظ الحجة أبو الحسن الدارقطنى وله عنه سؤالات . كما تتلمذ لعدد من أئمة الفقه والحديث والتصوف فى زمانه ، وأخذ منه شيوخاً كباراً أمثال أبو بكر البيهقى وعبد الله بن يوسف الجوينى وأحمد بن عبد الواحد الوكيل الذى نقل عنه الخطيب البغدادى مرويات أبو عبد الرحمن .

ألف رضى الله عنه فى مقاصد متعددة لكن إعترض عليه فى كتابه حقائق التفسير ويرى السيوطى أنه تفسير غير محمود ورمى بوضع الحديث . لكن يتحدث الخطيب البغدادى عنه فيقول : « قدر أبى عبد الرحمن عند أهل بلده جليل ومحله فى طائفته كبير ، وقد كان مع ذلك صاحب حديث مجردا جمع شيوخاً وتراجم وأبواباً وبنيسابور له دويرة معروفة به يسكنها الصوفية قد دخلتها وقبره هناك يتبركون بزيارته قد رأيته وزرته .

وقال تاج الدين السبكى قول الخطيب فيه هو الصحيح وأبو عبد الرحمن ثقة . وقال الحاكم أبو عبد الله بن البيع « إن لم يكن أبو عبد الرحمن من الأبدال فليس لله فى الأرض ولى - تاريخ بغداد (٢٤٨/٢) مرآة الزمان (١١/ق٣) طبقات المفسرين ص ٣١ ، طبقات الشافعية (٦١/٣) .

منها جميع الفقراء كل واحد نصيبه إلا هو - مع شدة فاقته - فمتى لم ينشرح لعدم العطاء أكثر من العطاء فهو كاذب مع شيخه خائن عقد الصحبة لأنه قد كان دخل معه على أنه تحت حكمه ، راض بكل ما يفعله معه ، فمتى اختار شيخه شيئاً واختار هو خلافه فقد خرج عن صحبته ، والواجب عليه التوبة ، ثم إن شاء شيخه قَبِلَه وإن شاء ردّه .

(وقال) أبو يزيد البسطامى : كل مريد أمره شيخه بعبادة من صوم أو صلاة أو قراءة أو اشتغال بعلم أو حرفة أو نحو ذلك أو منعه منها ؛ فتكدر من ذلك فهو عاص لله تعالى ولرسوله ﷺ .

(وقال) شقيق البلخى[1] : لمريده أفطر معنا اليوم ولك أجر يوم. فقال : لا . فقال : أجر جمعة . فقال : لا فقال : أجر شهر .

---

(١) سيدى أبو على شقيق بن إبراهيم البلخى رضى الله عنه . من كبار مشايخ خراسان ، تلقى الفقه عن أبى حنيفة ، وصحب إبراهيم بن أدهم وأخذ طريقته وهو أستاذ حاتم الأصم رحم الله الجميع كان من كبار المجاهدين فى سبيل الله تعالى .

وقال الذهبى : سافر أبو على شقيق البلخى ومعه ثلاثمائة فقير ، فتوسل إليه المأمون حتى اجتمع به ، واجتمع به قبله أبوه الرشيد ، وقال له : أنت شقيق الزاهد ؟ فقال : نعم شقيق ، ولست بالزاهد . فقال له « أوصنى . قال : « إن الله أجلسك مكان الصدّيق وإنه يطلب منك صدقه ، ومكان الفاروق ويطلب منك الفرق بين الحق وغيره ومكان عثمان ويطلب منك مثل حيائه وكرمه ، ومقام على ويطلب منك مثل علمه وعدله . وكان يقول : لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة فقال لى : اجتمعت بالخضر عليه السلام فقدم لى قدحاً أخضر فيه رائحة السكباج (لحم يطبخ بخلٍّ) فقال لى : كل يا إبراهيم فرددته عليه فقال إنى سمعت الملائكة تقول : من أعطى فلم يأخذ سأل فلا يعطى . وقال رحمه الله : إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله ووعده الناس فبأيهما يكون قلبه أوثق ؟ - الرسالة (١/٨٥- ٨٧) الطبقات (١/٦٥) .

فقال : لا . فقال : أجر سنة . فقال : لا . قال أبو يزيد: دعوه فقد سقط من رعاية الله تعالى فخرج من عندهم فسرق فقطعت يده .

(وقال) أبو عثمان : ما استصغر مريد شيخه من دعوى إدعاها إلا حرم بركته وعدم النفع بكلامه ولحظه أ. هـ . من الرسالة القشيرية وغيرها .

والكلام فى ذلك كثير ، والقليل يكفى العاقل البصير ، وكلامهم فى الأشياخ الصادقين لا فى الجهلة أو الزنادقة المخالفين لسنة خاتم النبيين ﷺ فإن هؤلاء دجالون أو شياطين زجرهم وضربهم ومقتهم واجب على من قدر من المسلمين ، إذ العمل بالسنة المحمدية هو الميزان ، فكل من خرج عنها ضل وغرق فى مراحيض الخسران . ولو كان فى الهواء يطير ، أو فوق ماء البحر يسير ، إذ استحواذ الشياطين عليه يوجب له أكثر من ذلك ، ألا تسمع بما سيقع من المسيخ الدجال أو ما وقع من سفلة كفرة الجهال ، الذين يستعملون بعض الأسماء فيقول لهم الخادم : لا أسير معكم حتى تكفروا بالله والعياذ به تعالى ، فيجيبون طلبه فيسير معهم فتقع على أيديهم أمور خارقة للعادة ، فيظن الجاهلون أنهم أولياء أصحاب كرامة ، وكل ذلك معلوم بالمشاهدة فتنبه أيها الصادق . (إذا علمت ذلك) أيها الإنسان فاعمل عليه لعلك تصير من الصادقين ذوى العرفان ، ولكن لا سبيل لك إلى ذلك إلا بوقوفك فى مقام الأدب ، وإلا فقد رمت وقوع نفسك فى مهاوى مهول العطب .

الطريق أدب كله

وأذكر لك بعض الآداب ، لتقيس عليه ما عنك غاب .

أ ـ فأما آدابك فى حق نفسك :

فمنها أن يكون الغالب عليك قلة الكلام فلا تتكلم إلا عن ضرورة ، لأن كثرة الكلام تميت القلب (ومنها) أن لا تقطع الذكر إذا افتتحته حتى تحصل لك الغيبة عن الحاضرين وجميع الأكوان وتحضر مع الحق تعالى ، وذلك لأن الفتح الإلهى لا يكون قط إلا لمن غاب عن إحساسه لأنه حينئذ استحق دخول الحضرة الإلهية ، وأما من لم يحصل له غيبة فذكره حسنات لا درجات ، كذكر العجائز اللاتى قطعن الولادة وصرن يسعلن فوق قبة الفرن ، فما دام يشهد الكائنات فهو محجوب ، وهى كلها فقيرة تسأل الله كما يسأل هو ، وليس عندها شىء من الخلع تخلعه عليه . وقد روى سيدى إبراهيم المتبولى[1] : أن شاباً كثير العبادة

---

(١) سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه (ت ٨٨٣ هـ)
كان من أصحاب الدوائر الكبرى فى الولاية ولم يكن له شيخ إلا سيدنا رسول الله ﷺ وكان يرى النبى ﷺ كثيراً فى المنام فيخبر بذلك أمه فتقول له يا ولدى إنما الرجل من يجتمع به فى اليقظة ، فلما صار يجتمع به فى اليقظة ويشاوره فى أموره قالت له : الآن قد شرعت فى مقام الرجولية . =

والاجتهاد ، وهو مع ذلك ناقص الدرجات . فقال له سيدى إبراهيم : يا ولدى مالى أراك كثير الأعمال ناقص الدرج ؟ فقال : ياسيدى لا أدرى . فقال له سيدى إبراهيم إنما جاءك النقص لعدم مراعاتك لأدب الأعمال الباطنة. فقال: يا سيدى صدقت . قلت : ولذلك عدم أهل الجدال من الفقهاء والعباد الترقى فى درجات الولاية ، وجمدوا على ما فهموا من ظواهر النقول ، ولم يتعدوا إلى ما وضعه الشارع فى طيها من الزواجر ، فلم يزدادوا بكثرة العلم وتلاوة القرآن زهداً ولا إقبالاً على ربهم ، وماتوا وأحدهم يود أن لو كان له واديان من ذهب ، بل يود أن لو زاد له رغيف آخر زائداً على خبزه . فافهم يا ولدى فإن السالك على يد الفقراء كالطائر إلى حضرات القرب ، والسالك من غير طريقهم كالمقعد الذى يزحف تارة ويسكن أخرى مع بعد الطريق والله أعلم .

(ومنها) أن يكون قميصك قصيراً نظيفاً . واعلم أن من اشتغل بتحسين الملبوس ، وغفل عن تحسين الباطن لا يفلح أبداً ولو كان شيخه من أكبر المسلكين

(ومنها) أن تكون دائم النشاط قوى الهمة فيما يرضى مولاك.

(ومنها) أن لا تأكل ولا تشرب ولا تلبس ولا تركب ولا تنكح

= وكان يقول : طهر قلبك من محبة الدنيا يجرى ماء الإيمان فى قلبك جداول . وكان يقول : لا أحب الفقير إلا إذا كان له حرفة تكفه عن سؤال الناس . وكان يقول : وعزة ربى لتتورع أحوالى بعدى على سبعين رجلاً ولا يحملون ـ الطبقات (٢/ ٨٠) .

ولا تنام إلا عن ضرورة لأن فعل المباح ليس من شأن المريدين لأنه لا ترقى فيه

(ومنها) أن ترى حقارة نفسك لتكون خدوما لإخوانك .

(ومنها) أن تجتنب الفقراء الجاهلين بآداب الشرع الذين ينسبون نفوسهم لإحدى الطرق المشهورة لأن مشايخهم متبرؤن منهم ، لأن نسب الفقراء والقرب منهم إنما هو بسلوك آداب الشريعة ، فكل من كان أكثر أدباً في الشريعة كان أقرب إلى حضرة شيخه التي انتسب إليها ، لأن المشايخ أصحاب الخرَق[1] هم صدور مجالس الحضرة المحمدية ، ومن لم يسلك ذلك لا

---

(١) الخِرَق : مفردها خِرْقَة : القطعة من الثوب البالى ، ولبس الخرقة له عدة معان بحسب تدرج حال المريد فهو ابتداء .[كما ذكر سيدى عبد القادر الجيلى] : أن المريد يوسم بزى أهل الخير حتى يستحى بسبب لبس الخرقة فلا يرجع إلى ما كان فيه من الذنوب فهى قيد له عن الدخول فيما لا يليق .

والخرقة بصفة عامة ـ كما ذكر السهروردى فى العوارف ـ : لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ والمريد . وربما للبس الخرقة بحال أتم وبمقصد أسمى كما ذكر سيدى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى فى الفتوحات المكية قال : والسِّر فى إلباسها أن الشيخ إذا أراد أن يكمِّل فقيرا والشيخ فى وقت غلبة حاله عليه ينزع ذلك الثوب الذى عليه ويلبسه للمريد الذى يريد تكملته فيسرى فيه ذلك الحال فيكمل حاله فى الأخلاق إذ ذاك ، فهذا هو اللباس المعروف بين العارفين ، كالخلعة من الملك أ. هـ

قلت ، ونظيره فى كتاب الله تعالى : ﴿ اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا ﴾ ومثاله من فعل إمام المهتدين سيدنا محمد ﷺ فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله إنى أسمع منك حديثا كثيرا أنساه . قال : ابسُطْ رداءك فبسطته قال : فغرف بيديه ثم قال : ضمه ، فضممته فما نسيت شيئاً بعده . =

يقدر شيخه أن يقربه إلى تلك الحضرة ولا يرفعه إلى مرتبة غيره من أهل الأدب، ولذا كان سيدى إبراهيم الدسوقى[1] يقول : إياكم

= أخرجه البخارى فى صحيحه فتح (١/٢٥٩ـ ٦/٧٣٢) وأخرجه مسلم بنحوه (١٦/٥٣) نووى ، وأول من استدل للخرقة الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى ٥٠٧هـ فى كتابه سنن الصوفية (الصفوة) ، فلقد أخرج من طريق الحاكم من حديث أم خالد قالت : أتى النبى ﷺ بثياب خميصة سوداء صغيرة فقال : من ترون أكسو هذه؟ فسكت القوم . فقال رسول الله ﷺ إيتونى بأم خالد . فأتى بى فألبسنيها بيده وقال أبلى وأخلقى ، يقولها مرتين ، وجعل ينظر إلى علم فى الخميصة أصفر وأحمر ويقول يا أم خالد هذا سناه .

وقال العلامة جلال الدين السيوطى : وقد استنبطت للخرقة أصلا من السنة لم ساق حديث عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : عممنى رسول الله ﷺ : فسدلها بين يدى ومن خلفى » أخرجه أبو داود والبيهقى .

واستدل المحدث الحجة السيد أحمد بن الصديق الغمارى عليها بحيث تعميم النبى ﷺ لعلى بن أبى طالب ، وبإلباس الكساء لآل بيته الأطهار ، وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » .

وروى أبو داود الطيالسى بسنده إلى على رضى الله عنه قال : عممنى رسول الله ﷺ يوم غدير خُمّ (اسم لموضع) بعمامة سدلها خلفى ثم قال : إن الله عز وجل أمدّنى يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العمة » رواه أيضاً ابن أبى شيبة فى المصنف وأحمد بن منيع فى المسند والبيهقى فى السنن .

(١) هو سيدى إبراهيم بن أبى المجد بن قريش بن محمد الدسوقى الشريف الحسينى (ت ٦٧٦هـ)تفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، ثم اقتفى آثار السادة الصوفية حتى صار من أجلاء مشايخ الفقراء أصحاب الخرق ومن صدور المقربين للحضرات العلية ، وهو أحد الذين سرت فيهم عناية الحق حتى برز للعالمين نائباً عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فكان أحد الأقطاب الأربعة رضى الله عنهم أجمعين. قيل له ما تريد. قال : أريد ما أراد الله عز وجل وكان يقول:ما كل من وقف يعرف لذة =

والقول بالمشاهدة والدعاوى التى لا يشهد لها كتاب ولا سنة فإنها سبب طردكم عن حضرة ربكم . وكان يقول : طريقنا مضبوطة بالكتاب والسنة ، فمن أحدث فيها ما ليس فى الكتاب ولا فى السنة فليس منا ولا من إخواننا ونحن بريئون منه فى الدنيا والآخرة ، ولو انتسب إلينا بدعواه . والسر فيما ذكرناه من النهى عن مخالطة أهل البدع ؛ أن معاشرتهم تميت قلب المريد حتى يصير كالثوب الخَلِق ، وما جعل الله حياة القلوب إلا بالأعمال التى جاءت بها الشريعة فلا يزال الفقير يخالط أهل البدع حتى يطرد إلى حضرتهم ويقع فيما وقعوا فيه . وقال الأشياخ : ومن أعظم القواطع للمريد معاشرة الذين يطلبون العلم لغير العمل ، ويشتغلون بالفروع المعطلة مما لا يحتاج إليه أحد من الناس طلباً للرياسة على أقرانهم ، فإنهم ربما زينوا للمريد أن الاشتغال بما اشتغلوا به أفضل من الاشتغال بذكر الله عز وجل ؛ فيتبدد عزمه ، وتنحل مروءته عما كان عقده مع شيخه فيمقت ولا يفلح بعد ذلك أبداً .

ـ الوقوف ، ولا كل من خدم يعرف آداب الخدمة ولذلك قُطِعَ بكثير من الناس مع شدة اجتهادهم . وكان رضى الله عنه يقول : سألتكم بالله يا إخوانى أن تكونوا خائفين من الله تعالى ، فإنكم غنم السكين وكباش الفناء وخراف العلف ، يا من تنور شواهم قد أوهج ، ويا من السكين لهم تحدُّ وتجذب .. قوا أنفسكم وأهليكم نارا . عاش رضى الله عنه ثلاثا وأربعين سنة ودفن فى مسجده العامر بدسوق رحمه الله رحمة واسعة . الطبقات الكبرى (١٤٣/١ ـ ١٥٨) .

وقد حُكى عن اليافعى[1] شيخ اليمن أنه قال : مكثت خمس عشرة سنة وأنا متردد بين طريق الفقهاء وطريق الفقراء ، فاجتمعت بشخص من أولياء الله تعالى فقال لى : طريق الصوفية هِى الشريعة بعينها ، ولكن الصوفية رأوا الآداب الباطنة فأفلحوا وقربوا من حضرة القرب ، والفقهاء لم يراعوا إلا الظواهر فحرموا الترقى وحجبوا عن أسرار الشريعة ، فَمِنْ ثَمَّ صار كل صوفىٌ فقيها ، ولا ينعكس . فقال : أريد أن أريَك شيئاً تعرف به ثمرة الطريقين . فقلت له : افعلِ ما بدا لكِ . فقال لرجل : قم وادع لنا العالم الفلانى ـ وكان مفْتياً فى زَبِيْد[2] ـ ثم قال للفقراء : إذا جاء فلان فلا تعظموه ، ولا تقوموا له ، ولا تردوا عليه السلام إلا سِراً، فلما جاء قال : السلام عليكم . فلم يرد عليه أحد . فقال :

(١) هو الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعى اليمنى الشافعى (ت ٧٦٨ هـ) نزيل الحرمين الشريفين ، أحد أئمة العارفين وأكابر العلماء العاملين ، الذى كان يقتدى بآثاره ويهتدى بأنواره شيخ الطريقين وإمام الفريقين . ولد بعدن ونشأ بها واشتغل بالعلم حتى برع فيه ، صحب الشيخ عليا الطواشى فسلك به الطريق وبلّغه المراد ، روى أنه لما قصد المدنية المنورة لزيارة النبى ﷺ قال : لا أدخل المدينة حتى يأذن لى رسول الله ﷺ . قال : فوقفت على الباب أربعة عشر يوما فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى : يا عبد الله أنا فى الدنيا نبيك وفى الآخرة شفيعك ، وفى الجنة رفيقك .

زار الشام وبيت المقدس وقبر الخليل إبراهيم عليه السلام ثم قصد مصر فأقام فى مشهد ذى النون المصرى ، ثم رجع إلى المدينة ثم إلى مكة فجاور واشتغل بالعلم والعبادة ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى ودفن بباب مقبرة المعلاه بمكة حرسها الله تعالى .

جامع كرامات الأولياء (٢/٢٥٠ ـ ٢٥٣) .

(٢) زبيد : بلدة من أعمال اليمن .

حرام عليكم عدم رد السلام لوجوبه عليكم . فقال الشيخ : الفقراء فى أنفسهم منك شىء . فقال : وأنا كذلك ، فى نفسى منهم أشياء! فقال الشيخ : أنظر ما عنده من النَفْس والتكبر فأين تهذيبه الذى حصل له من العلم ؟ وأين تواضعه ؟ ثم قال الشيخ: قم يا فلان فادع لنا الفقير الفلانى ، ثم أمر الفقراء أن لا يقوموا إليه ولا يعظموه ولا يردوا عليه السلام فلما جاء قال : السلام عليكم . فلم يردوا عليه ، فقال ثانياً فلم يردوا عليه . فقال ثالثاً ، فلم يردوا عليه !! فقال له الشيخ : الفقراء متشوشون منك . فقال: أستغفر الله ، ووضع النعال على رأسه وأطرق !! فقال الشيخ : أنظر ثمرة طريق الفقراء . قال اليافعى : فمن ذلك اليوم أقبلت على الفقراء وعلى طريق الصوفية بِكُلِّيَّتى أ. هـ من مدارج السالكين[1] .

(ومنها) الآداب التى ذكرناها لك سابقاً وغيرها فتفطن واعمل .

(ب) وأما آدابك مع شيخك :

فكثيرة أيضاً (منها) تعظيمه ظاهراً وباطناً وهذا من أهم الواجبات عليك وتبلغ من الكمال بقدر تعظيمك[2] له ، ومن تعظيمه

---

(١) ويسمى : مدارك السالكين إلى رسوم طريق العارفين للشيخ عبد الوهاب الشعرانى . الأعلام (١٨١/٤)

(٢) تعظيم الشيخ وتوقيره هو من شهود الخصوصية فيه ورؤية الكمال فى ذاته على أساس أنه نسخة محمدية كاملة وفى الحديث « ليس منا من لم يجلّ كبيرنا ويرحم =

أن لا تجلس على فراشه الخاص ولا تلبس ثوبه ولا تسبح بسبحته ونحو ذلك .

(ومنها) أن لا تكتم عنه شيئاً مما خطر لك من محمود أو مذموم ولا تذكر له من الخواطر إلا مادام وتكرر ، فإن إعلامه بجميع الخواطر يستغرق الزمن كله لكثرتها ، إذ هى سبعون ألف خاطر فى الليل والنهار ، ثم إذا ذكرت المذموم له فليكن سراً .

(ومنها) أن تعمل على أوامره لك مع التسليم له ظاهراً وباطناً ، فلو اعترضت عليه ولو بقلبك لا تفلح . قال الأشياخ ما عدم المريد الفلاح إلا من عدم امتثال أمر شيخه .

(ومنها) أن لا تجلس بحضرته إلا كجلوسك للصلاة إلا لضرورة . ولتحذر من الإكثار من مجالسته ، فإن المريد ربما ذهبت حرمة شيخه من قلبه بكثرة مجالسته له ، فيهون عليه بذلك قدره فيحرم بركته .

(ومنها) أن لا تطلب منه جواباً عن رؤيا رأيتها أو حادثة

= صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » رواه أحمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه عن عبادة بن الصامت ورمز السيوطى لحسنه .

والنص على التوقير نابع من عمق الفكرة التربوية لدى السادة الصوفية فلن يتحقق كمال انتفاع التابع من المتبوع إلا بملاحظة ذلك ، ألا ترى إلى ربك كيف نص عليها فى معاملاتنا مع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم حيث قال : ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ● لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ● إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ... ﴾ .

حدثت لك بل تذكر حاجتك وتسكت فإن أجابك كان وإلا أعرضت بقلبك عن طلب الجواب لئلا يصير شيخك محكوماً عليه منك بلزوم رد الجواب وهذا بخلاف طريق الفقهاء . والفرق أن طريق الفقراء : مواجيد يجدونها ، وطريق الفقهاء : نقول ينقلونها فمن قال من المريدين لشيخه لِمَ كان هذا[1] لم يفلح أبداً في طريق القوم ، ومن قال من الفقهاء لشيخه لم كان هذا أفلح[2] ولكل طريق طالب يناسبها

(ومنها) أن لا تطمع في شيخك قول قائل ، ولا تصاحب له عدواً ولا تعادى له صديقاً ولا تجالس من ليس محباً له . قالوا يجب على المريد أن يحب كل من قرّبه شيخه ويبعد كلّ من أبعده جملة واحدة . ومن أدل دليل على عدم صدق المريد في محبة شيخه أن يكره أحداً من أصحابه أو يُنقصه ، ومن هنا يترقى المريد إلى محبة جميع الخلق ، ومحبة نسبتهم إلى الكمال لأجل من هم عبيد له سبحانه وتعالى ولكن إن أمره شيخه أن يجانب

(١) قالها لشيخ الطريق على سبيل الإعتراض والانتقاد ولم يسأل استفهاماً عما غُمِضَ عنه فلا يكون جوابه إلا الصدّ عند شيخي الشريعة والطريقة لأنه خالف آداب العلم والواجب على طالب الحقيقة التعامل مع شيخه من فحوى قوله تعالى : ﴿ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ .

(٢) قالها لشيخ الشريعة طلبا للدليل أو توجيها للنص وما إلى ذلك وهو الواجب عليه حينئذ . ولذلك عقّب الشيخ بقوله : « ولكل طريق طالب يناسبها » قلت : وكلا الطريقين مطلوب ، أن يتشرع المريد ويتصوف حتى يتحقق ، كما نص عليه الإمام مالك رضي الله عنه .

أحداً من أصدقائه أو غيرهم وجب اجتنابه ، ولا يغتر بإظهار شيخه محبة ذلك الصديق[1] ، لأن من شأن الشيخ الإقبال على كل الناس حتى لا يصير له عدو قط إلا من المجرمين، لوسعِ ما هو عليه من الأخلاق المحمدية .

(ومنها) أن تحذر من العجلة إلى فعل ما أمرك به شيخك من غير معرفتك بشروط ذلك الأمر بل تأن وتعلم طريق الأدب والسياسة فى فعله ليقع منك على بصيرة .

(ومنها) أن لا تطأ سجادته بل اطوها أو امش على ركبتيك ولا تدخل له خلوة ولا تبت عنده إلا إذا دعاك ولا تبت معه قط حيث يبيت سفرا ولا حضرا إلا لعذر .

(ومنها) أن لا تغفل عن ملاحظته وملاحظة المكان الذى هو فيه فإن حاجتك كلها عنده من حيث كونه دليلك فى الوصول إلى مولاك ، فالمقصود هو مولاك على كل حال . قالوا : ومتى غاب المريد عن شيخه ساعة واحدة ولم يشتق إلى رؤيته فهو كاذب فى إرادته لا يصلح للطريق أبداً .

---

(١) وأسوة الشيخ فى ذلك خير البرية صلى الله عليه وسلم . فلقد روى البخارى بسنده إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رجلاً استأذن على النبى ﷺ فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة ، فلما جلس تطلّق النبى ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرّجل قالت له عائشة يا رسول الله حين رأيت الرّجل قلتَ له كذا وكذا ، ثم تطلّقت فى وجهه وانبسطت إليه فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة متى عهدتنى فاحشا؟ إنّ شرّ النّاس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه النّاس اتّقاء شرّه ، فتح البارى (٤٦٧/١٠) كتاب الأدب .

(ومنها) أن لا تعمل عملاً إلا بإذنه وأن تُسلِّم له في جميع الأمور بأن تكون بين يديه كالميت بين يدى الغاسل يُقلّبه كيف شاء لا يتحرك منه شيء إلا إذا حرّكه .

(ومنها) أن لا تتشوق لمعرفة مقدار نومه أو أكله أو كم يتوضأ فى اليوم والليلة مرة أو هل يأتى النساء كثيراً أو قليلاً . فهذا ونحوه معدود من عقوق المريدين ، والعاقّ لا يرفع له إلى السماء عمل وربما كان اطلاع المريد علي تلك الأحوال منقصاً لحال شيخه فى قلبه لِجهله بأحوالِ الكُمَّل فيهلك ويقع فى الخيانة لشيخه ، ويحل عقْدَه الذى عقَده معه . قالوا : وليعلم المريد أن كل ذرَّةٍ من أعمال شيخه لا يقاوم بها عبادته هو طول السنة ، لسلامتها من الموانع[1] ، فنومه أشرف من عبادة المريد . وقد أرسل ذو النون المصرى يقول لأبى يزيد البسطامى إلى متى الغفلة والراحة وقد سارت القافلة ؟ فأرسل أبو يزيد يقول له ليس الرجل من يسير مع القافلة وإنما الرجل من ينام إلى الصباح ويصبح أمامها ! فقال ذو النون : هذه درجة لم تبلغها أحوالنا .

(ومنها) أن لا تتزوج امرأة رأيته مائلاً إلى التزوج بها ولا امرأة

---

(١) قال سيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه : ما لم عمل أزكى ولا أنور ولا أكثر فائدة من علم أهل الله عز وجل فإن الذرة منه ترجح على جبالٍ من عمل غيرهم لخلوّه من العلل ، وأيضاً فإن عمل القوم بقلوبهم وأبدانهم وعمل غيرهم بأبدانهم دون قلوبهم ، ولذلك لا يزدادون بكثرة الطاعات إلا كِبراً وعجبا .

طلقها أو مات عنها . قال الشعرانى فى مدارج السالكين[1] وحكى لى شيخنا أن سيدى محمد الشويمى أخبر أصحابه فى مرض موته: أن كل من تزوج امرأتى بعدى قتلته . فلما مات طلب شخص أن يتزوجها فأخبروه بما وقع من الشيخ فلم يرجع واستفتى علماء مصر فى ذلك فقالوا له هذه الخصوصية إنما هى لرسول الله ﷺ . تزوج ولا عليك حرج ، فعقد عليها فأتاه شىء فى جنْبه ليلة الدخول فصار يصيح إلى أن طلعت روحه ، وبقيت زوجة الشيخ عازبة إلى أن ماتت . ورأيت أنا بعينى رجلاً من بلاد الشرقية طلب يتزوج امرأة سيدى الشيخ محمد بن عنان[2] فنهاه الناس عنها فلم ينته وتواعد هو وأهلها أن يعقدوا عليها بعد العصر فنام قبالة ضريحه بجامع (المقسم)[3] بخط باب البحر بمصر ـ فأتاه الشيخ محمد بحربة وقال : ضاقت عليك الدنيا ما وجدت إلا فرشى

(١) مدارك السالكين إلى رسوم طريق العارفين .

(٢) سيدى محمد بن عنان رضى الله عنه : كان من الزُهاد العبّاد وكان مشايخ العصر إذا حضروا عنده صاروا كالأطفال فى حجر مربيهم ، وكان يضرب به المثل فى قيام الليل وفى العفة والصيانة .

أقام فى بدء أمره ثلاث سنين فى سطح جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه وكان لا ينزل إلا وقت صلاة الجماعة أو وقت حضور درس الشيخ العارف بالله تعالى سيدى يحيى المناوى فإنه كان من أهل علمى الظاهر والباطن . وكان رضى الله عنه يقول : الفقير رأس ماله قلبه ، فلا يدخل على قلبه من أمور الدنيا شيئاً يكدره .

توفى رحمه الله سنة ٩٢٢ هـ عن مائة وعشر سنين ودفن بجامع المقسم بباب البحر.

(٣) مكانه الآن مسجد الفتح بميدان رمسيس .

وطعنه فاستيقظ مرعوبا وهى فى جنبه بارزة كالكبد المشوى، فقال: احملونى إلى بلادى فمات فى الطريق . هذا ما رأيته بعينى .

فإياك يا أخى ثم إياك فإن من خصائص جروح الفقراء أنها لا تختم قط إلا بروح صاحبها ولا ينفع فيها دواء ولا يُنَبِّئكَ مثل خبير . أ هـ .

(ومنها) أن تجتهد فى إكرام كل من يلوذ به ولا سيما أولاده إذا غاب .

(ومنها) أن لا تديم النظر إلى وجهه فمن أدمن النظر إلى وجه شيخه فقد خلع ربقة الحياء من عنقه وربما حرم بركته .

(ومنها) أن تعظِّم ما أعطاه لك من ثوب ونحوه ولا تبيعه لأحد ولو أعطاك ما أعطاك إذ ربما يكون طوى لك فيه سراً وربما جمع لك فيه جملة من أخلاق الرجال كما طوى رسول الله ﷺ لأبى هريرة ثوبا فما نسى بعد ذلك شيئاً قط[1] والأشياخ ليس لهم فعل عبثا لأن مقامهم يجلُّ عن ذلك .

(ومنها) أن لا تتغير عليه إذا نقصك بين إخوانك أو فعل بك أى فعل لأنه لا يفعل معك ذلك إلا لمصلحة يقصر عن إدراكها

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلتُ يا رسول الله إنى أسمع منك حديثا كثيراً أنساه . قال : أبسُط رداءكَ ، فبسطته . قال فغرف بيديه ثم قال : ضمه فضممته فما نسيت شيئاً بعده » البخارى (٢٥٩/١) فتح ، مسلم (٥٣/١٦) نووى ، وراجع التعليق على الخرقة فيما سبق .

عـقلك ، بل يجب عليك أن تشكره على ذلك زيادة على مـا كنت عليه من قبلُ ، لأنه ما فعل معك ذلك إلا اعتناء بك ، بل لا يخاف المريد إلا من مباسطة شيخه له ، فمن تغير من زجر شيخه لا يفلح أبداً .

(ومنها) أن لا تسافر ولا تتزوج ولا تفعل نحو ذلك إلا بإذنه.

(ومنها) أن تمتثل أمره إذا منعك من فعل مباح ، لأن قصد الشيخ للمريد دائماً الترقى ، وفعل المباح لا ترقى فيه ، لأنه برزخ لا ثواب فيه ولا عقاب ، فالمريد الذى غالب أوقاته فى المباح كاذب خائن . وقالوا إذا احتجَّ المريد على الشيخ بأقاويل العلماء فى جواز فعل المباح لم يفلِح أبداً ، وإذا تركه الشيخ يحتجُّ عليه ولم يزجره عن ذلك فقد مكَر به وأخرجه عن صحبته .

(ومنها) أن لا تصافحه ويده مشغولة بقلم أو نحوه .

(ومنها) أن لا تجلس فى المكان المُعَدّ لجلوسه .

(ومنها) أن لا تكثر الكلام بحضرته ولو باسطَك ولا ترفع صوتك بحضرته وتقرع باب المكان الذى هو فيه بشدة ولا تُلِحْ عليه فى أمر .

(ومنها) أن تصبر على جفوته وإعراضه عنك ولا تقل لِمَ فَعَلَ بفلان كذا ولم يفعل بى كذا ؛ وإلا خبتَ .

(ومنها) غير ذلك ، وبذكر القليل يتنبه العاقل للكثير . وهذه

الآدابِ إنما يخاطب بها المريد الصادق المُجدُ الحاذق لا كل من تَلَقَنَ الذكر .

(ج) وأما آدابك مع إخوانك :

فمنها أن تحبَّ لهم ما تحب لنفسك أو تقدمهم على نفسك . وأن تكون خادماً لهم مع اعتقادك أن الفضل لهم لا لك . وأن لا ترى لك حقاً على أحد منهم ، بل ترى أنك دائماً محقوق لهم فتطلب منهم المسامحة والرضا .

وأن تراهم خيراً منك فى كل شىء حتى أنك ترى نومهم خيراً من عبادتك . وأن تكون معينا لهم على فعل ما فيه صلاحهم فى الدنيا والآخرة ، محافظاً على شرفهم فى الحضرة والغيبة ، تعادى من يعاديهم وتحب من يحبهم، جاعلاً رأس مالك فى مرضاتهم ، تقدم مصالحهم على مصالح نفسك وهكذا من الآداب التى لا تخفى على عاقل . وأكثر الآداب المتقدمة يطلب منك فى حق العامة ، وأصل جميع الآداب هو العمل بالسنة فمن نسج عمله على منوالها ، أحرز كل الفضائل والفواضل والبها ، ومن عمل بالبدع فلا شرف له ولا أدب ، إذ هو فى دائم المقت والخزى ومهولِ العطب ، فالحذر الحذر أيها العقلاء ، من ارتكاب البدع فإن فعلها أعظم داء ، وتمسكوا فى حركاتكم وسكناتكم بسنة خاتمَ الأنبياء ، فبذا يتم لكم كل الفلاح ونهاية الارتقاء .

* * *

نسب الشيخ في الطريق

(واعلم) أنه يُطلب من كل شخص طلباً أكيداً أن يعرف نسبه من جهة الولادة ، ونسبه من جهة الطريق. وطلب معرفته بنسبة من جهة الطريق أوكد لأن أباه من جهة النسب مربى الجسم ، وأباه من جهة الطريق مربى الروح ، والجسم يفنى والروح تبقى ، فهى التى عليها المدار ، وبها الفلاح فى هذه الدار وتلك الدار ، فلذا كان شيخ الطريق أفضل ، وحقه أوكد من أبى النسب، فمن لم يعرف نسبه فهو أعمى لقيط ، وربما نَسَبَ نفسه لغير أبيه فيدخل في قوله صلى الله عليه وعلى آله سلم : « لَعَنَ اللهُ مَنْ انْتَسب إلى غير أبيه »[1] فهو محروم من الفلاح. ومن أجل ذلك درج السلف الصالح كلهم على تعليم المريدين آداب

---

(١) رواه أحمد بن حنبل فى مسنده (١٨٦/٤ ، ١٨٧) ولفظه عن عمرو بن خارجة قال : خطبنا رسول الله ﷺ وهو على ناقة فقال : ألا أنَّ الصَّدقة لا تحل لى ولا لأهل بيتى ، وأخذ وبرةً من كاهلِ ناقته فقال ولا ما يساوى هذه ، أو ما يزن هذه . لعن الله من ادعى إلى غير أبيه أو تولىَّ غير مواليه . الولد للفراشِ وللعاهر الحجر . إنَّ الله أعطى كلَّ ذى حقٍّ حقَّه ولا وصية لوارث » .

وجاء من طرق أخرى فى المسند إلى عمرو بن خارجة وفى آخره « ومنْ ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » .

ورواه ابن جرير الطبرى بسنده إلى معاذ بن جبل قال : إنّى لمعَ رسول الله ﷺ ولُعابُ دابته على فخذى فسمعته يقول : لعنَ الله من ادّعى إلى غير أبيه ، لعنَ الله من انتمى إلى غير مواليه .

آبائهم ومعرفة أنسابهم ، وأجمعوا على أن من لم يصحُّ له نسب القوم فهو لقيط لا أب له في الطريق ، فهو لا نصيب له فيها

(وأذكر لك) نَسَبى وسَنَدِى فى إعطاء العهود وتلقين الذكر وإدخال الخلوة وإلباس الخرقة وغير ذلك من لوازم الطريق فأقول[1]: تلقيت ذلك عن أستاذى الشيخ أحمد بن الشيخ محمد أبى جبل السُّبكى وهو عن أستاذه الشيخ أحمد أبى وِرْدِ السبكى وهو عن أستاذه الشيخ محمد أبى عبد الله الكفراوى وهو عن شيخه الشيخ أحمد الصاوى وهو عن أستاذه الشيخ أحمد الدَّردير وهو عن أستاذه الشيخ محمد بن سالم الحفنى ، وهو عن سيدى مصطفى البكرى وهو عن سيدى عبد اللطيف الحلبى ، وهو عن العارف بالله تعالى سيدى مصطفى أفندى الأُدرْنَاوى نسبة إلى أدرنا بلدة بالروم ، وهو عن سيدى على قَرَه باشْ أفندى - ومعنى قرة باش أسود الرأس كلمة تركية - وهو عن سيدى إسماعيل الجورومِى - نسبة إلى جوروم بلده - وهو دفين الشام قريب من مرقد سيدى بلال الحبشى ، وهو عن سيدى عمر الفؤادى وهو عن سيدى محيى الدين القَسطمونى نسبة إلى قسطمون بلدة

---

(١) للشيخ رضى الله عنه أسانيد أخرى فى الطريق ذكر واحداً منها فى طبعة العهد الوثيق الأولى سنة ١٩٣١ مطبعة الفتوح الأدبية ، ونص الشيخ فى مقدمة الرسالة البديعة ص ٣ أنه : الخلوتى الرفاعى الشاذلى الأحمدى البيومى البكرى ، وأنه تلقى هذه الطرق وغيرها وأذن له فيها . وقال الشيخ فى العهد الوثيق : سلوكى هذه الطرق فى الحقيقة بواسطة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم . انظر ص ٨٤ .

باناطُول وكذا يقال فيما بعده ـ وهو عن الشيخ شعبان أفندى القسطمونى ، وهو عن خير الدين التوقادى نسبة إلى توقاد بالتاء الفوقية بلدة باناطول ، وهو عن جلَبِى سُلطان الأقسرائى نسبة إلى بلدة اقسراى بأناطول الشهير بجمال الخلوتى ، وهو عن الشيخ محمد بن بهاء الدين الأزرنجانى نسبة إلى أزربجان بلدة فى أناطول ويقال الشيروانى نسبة إلى شيران بلدة بقرب ديار بكر ، وهو عن سيدى يحيى الباكوبى وهو عن صدر الدين الخيالى ، وهو عن الحاج عِزّ الدين وهو عن الشيخ محمد بيرام الخلوتى ـ وبيرام لفظ أعجمى معناه العبد ـ وهو عن الشيخ عمر الخلوتى ، وهو عن الشيخ محمد الخلوتى ، وهو عن الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلانى ، وهو عن سيدى جمال الدين التبريزى ، وهو عن شهاب الدين محمد الشيرازى ، وهو عن ركن الدين محمد النجاشى ، وهو عن قطب الدين الأبهرى ، وهو عن أبى النجيب السهروردى ، وهو عن سيدى عمر البكرى ، وهو عن وجيه الدين القاضى ، وهو عن محمد البكرى ، وهو عن محمد الدينورى ، وهو عن سيد الطائفة الجنيد بن محمد البغدادى ، وهو الذى انتهت إليه الطرق المشهورة، وهو عن السرِى السقطى ، وهو عن سيدى معروف الكرخى ـ نسبة إلى الكرخ ـ ، وهو عن داود بن نصير الطائى ، وهو عن حبيب العجمى ، وهو عن الحسن البصرى ، وهو عن الإمام على بن أبى طالب وهو عن سيد الكائنات سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وهو عن جبريل عليه

السلام ، وهو عن رب العالمين جل جلاله وتقدست أسماؤه . هذا هو الوضع الصحيح لهذه الأسماء وغيره تحريف . وإذا عاهدت أحداً وأطلقت يكون مرادى هذه الطريقة أعنى طريقة الخلوتية . وكذا تلقيت الطريقة الرفاعية والشاذلية والنقشبندية والبيومية والأحمدية والإبراهيمية وغير ذلك من الطرق المشهورة وأذن لى من أربابها المعوّل عليهم بالتسليك فيها وذكر الأسانيد فى ذلك يخرجنا عن الاختصار .

(وهذا) بحسب ظاهر الحال وإلا فسلوكى هذه الطريق فى الحقيقة إنما هو بواسطة صاحب الشريعة صلى تعالى الله عليه وعلى آله وسلم من غير أن يكون لأحد من الأشياخ دخل فى ذلك.

(واعلم) أن جميع الطرق من أهم شروطها التمسك بالكتاب والسنة ، فمن خرج عن الكتاب والسنة فى شىء فقد خرج عن جميع طرق المسلمين وجميع أهل الطريق بريئون منه فى الدنيا والآخرة ولو انتسب إليهم بدعواه ، كما علمت بعضه من كلام الأشياخ السابق ، فكل من انتسب إلى طريقة من الطرق المحمدية وهو مخالف للسنّة فهو كاذب فى دعواه ، مطرود عن كلِّ خير وعليه غضب الله ، يحشر فى زمرة مردة الشياطين ، واجب زجره ومقته على كل من قدر من المسلمين ، إذ هو أضر على الدين من ألف شيطان ، وهذا معلوم بمشاهدة كل إنسان ولكن انعكس الحال على المغفلين فتراهم على مشايخ الضلال عاكفين ، ولمن

يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كارهين فنادوا على أنفسهم أنهم لا عقل لهم ولا دين .

(واعلم) أن السر فى التلقين : ارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل ولذلك كان الإنسان إن لم يقل لا إله إلا الله امتثالا لقول رسول الله ﷺ (قل لا إله إلا الله) لم يحكم بإسلامه ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لمَا جئت به » [1] ونحو ذلك من الأحاديث وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل فى سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرّك حلقة نفسه تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل فمن لم يدخل فى طريقهم بذلك فليس معدوداً منهم ولا يجيبه أحد إذا حرّك حلقة نفسه المنفصلة .

(واعلم) أن سند القوم فى تلقين الذكر ما رواه الطبرانى والبزار وغيرهما أن النبى ﷺ لقّن أصحابه كلمة لا إله إلا الله جماعة وفرادى : (فأما تلقينه) جماعة ، فقال شداد بن أوس رضى الله

---

(١) رواه البغوى فى شرح السُّنة (٢١٣/١) ، ورواه ابن عساكر فى أربعينه وقال : حديث غريب ، ورواه الحافظ أبو بكر بن أبى عاصم الأصبهانى ، ورواه الحافظ أبو نعيم فى « الأربعين » مخرجا إياه عن الطبرانى . وصحح النووى الحديث لكن فيه نعيم بن حماد لين الحديث . قال الذهبى فى الميزان نعيم أحد الأئمة على لين فى حديثه وقال الحافظ فى التقريب (٥٦٤/١) (٧١٦٦) « صدوق يخطىء كثيراً ، وقد تتبع ابن عدى ما أخطأ فيه وقال : باقى حديثه مستقيم » .

عنه كُنّا عندَ النّبى ﷺ فقال رسُولُ الله ﷺ هل فيكم غريب - يعنى من أهلِ الكتابِ - فقلنا لا يا رسول الله فأمَرَ بغلق الباب وقال : « ارفعوا أيْديكم وقُولوا لا إله إلا الله فرفَعْنا أيدينَا ساَعةً وقُلنا لا إله إلا الله ثُمَّ قالِ صلِى الله عليه وسلِم . اللّهُمَ إنّك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدْتنى عليهَا الجنة وأنْت لا تُخلف الميعَاد ثُمَّ قالَ صلى الله عليه وسلم ألا فأبْشرُوا فإنَّ الله قد غَفَرَ لكمْ (١) .

(وأما) تلقينه صلى الله عليه وسلم لأصحابه فُرادى فقد قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله دلّنى على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى فقال رسول الله ﷺ : يا علىُّ عليك بمداومة ذكر الله تعالى سراً وجهراً . فقال على رضى الله عنه: كلِ الناس ذاكرون وإنما أريد أن تخصنى بشئ فقال رسول الله ﷺ مه يا على ، أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله ولو أن السموات والأرضين السبع فِي كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله. ثمّ قال رسول الله ﷺ : يا على ،

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (١٢٤/٤) برقم (١٧١٦٢) ولفظه . عن يعلى ابن شداد قال حدثنى أبى شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يُصَدِّقه قال : كنا عند النبى ﷺ فقال هل فيكم غريب ؟ يعنى أهل الكتاب فقلنا : لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله فرفعنا ساعة ثمّ وضع رسول الله ﷺ يده ثمّ قال : الحمد لله ، اللّهم بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتنى عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد ، ثمّ قال : أبشروا فإنّ الله عزّ وجلّ قد غفر لكم » .

لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله ثم قال : عليٌّ : يا رسول الله ، كيف أذكر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم غمِّضْ عينيك واسمع منى لا إله إلا الله ثلاثَ مرات ، ثم قلها ثلاث مرات وأنا أسمع ورفع بها صوته وهو مغمِّض عينيه ثم قالها عليٌّ ثلاث مرات وهو مغمض عينيه والنبى ﷺ يسمع[1] .

(وإنما) أمر بغلق الباب وقال هل فيكم غريب إشارة إلى أن طريق القوم مبنيّة على السَّتر لا يشتهر عليها أكثر الناس ولا ينبغى أن يذكر كلامهم بحضرة من ليس من خرقتهم ولا من لم يعتقد فيهم (ومن هنا) أنكر بعض العلماء تلقين الحسن البصرى من على بن أبى طالب وقال لم يبلغنا أنه اجتمع به فضلاً عن الأخذ عنه[2] أ هـ. وهذا القول من هذا العالم لا يقدح فى طريق

(١) لم أقف عليه لكن ذكر الشعرانى رحمه الله أنه من رواية سيدى يوسف العجمى فى رسالته بسنده المتصل إلى الإمام على بن أبى طالب كرّم الله وجهه (الأنوار القدسية ١٦) قلت : ويعضد تلك الرواية ما ورد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : قال موسى عليه السلام يا رب علِّمنى شيئاً أذكرك به وأدعوك به . قال : يا موسى قل . لا إله إلا الله . قال : يا رب كلُّ عبادك يقول هذا . قال : قل لا إله إلا الله. قال : لا إله إلا أنت يا ربّ إنما أريد شيئاً تخصنى به . قال : يا موسى ، لو كانت السموات السبع وعامرهنّ غيرى والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة .. مالت بهنّ لا إله إلا الله » .

أخرجه الحاكم وصححه وأقره الذهبى (٥٢٨/١) والنسائى وأحمد وابن حبان بنحوه .

(٢) قال الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله : أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصرى من على بن أبى طالب وتمسك بهذا بعض المتأخرين لخدش به فى =

... ...

= طريق لبس الخرقة ، وأثبته جماعة .. وهو الراجح عندى

وقد رجحه أيضاً الحافظ ضياء الدين المقدسى فى المختارة وتبعه على هذا الحافظ ابن حجر فى أطراف المختاره . ووجوه ترجيحنا كما يلى :

الوجه الأول : إن العلماء ذكروا فى الأصول فى وجوه الترجيح أن المثبت مقدم على النافى لأن معه زيادة علم .

الوجه الثانى : أن الحسن ولد لستين بقيتا من خلافة عمر باتفاق وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضى الله عنه فكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه ، وأخرجته إلى عمر فدعا له : اللهم فقّه فى الدين وحبّبه إلى الناس . ذكره الحافظ جمال الدين المزّى فى التهذيب ، وأخرجه العسكرى فى كتاب المواعظ بسنده ، وذكر المزّى أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة ، ومن المعلوم أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة ، فكان يحضر الجماعة ويصلى خلف عثمان إلى أن قتل عثمانٍ وعلىٌّ إذ ذاك بالمدينة ، فإنه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان .. فكيف يستكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به فى المسجد خمس مرات من حين ميّز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة !! .

وزيادة على ذلك .. أن عليّاً كان يزور أمهات المؤمنين ومنهن أم سلمة والحسن فى بيتها هو وأمه .

الوجه الثالث : إنه ورد عن الحسن ما يدل سماعه منه ، أورد المزّى فى التهذيب من طريق أبي نعيم عن يونس بن عبيد قال : سألت الحسن قلت يا أبا سعيد إنك تقول قال رسول الله ﷺ وإنك لم تدركه ؟! قال يا ابن أخى لقد سألتنى عن شيء ما سألنى عنه أحد قبلك ولولا منزلتك منى ما أخبرتك ، إنى فى زمان كما ترى [وكان فى عمل الحجاج] كل شيء سمعتنى أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن علىٍّ بن أبى طالب .. غير أنى فى زمان لا أستطيع أن أذكر علياً .

وقال الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الترمذى عند حديث « رفع القلم عن ثلاثة » قال علىٌّ بن المدينى : الحسن رأى عليا بالمدينة وهو غلام .

وقال أبو زرعة : كان الحسن يوم بويع لعلى بن أربع عشرة سنة ورأى عليّا بالمدينة ثم خرج إلى الكوفة والبصرة ولم يلقه الحسن بعد ذلك .

وقال الحسن : رأيت الزبير يبايع عليا . انتهى من الحاوى للفتاوى (٢/٢٦٨ ـ ٢٧١)=

العارفين لأن هذا القائل لم يدخل طريقهم فلو دخلها سلّم للأشياخ واعتقدهم وصدّقهم لأن ذلك كالمتواتر فيما بينهم لأنه لابد لكل من حق له قدم الولاية من الاجتماع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة[1] فإن لم يصح له ما نقوله فيه من طريق الوسائط صح له من طريق الأخذ عنه بالفهم ، فالله تعالى لا يؤاخذ هذا القائل بما قال .

= ثم ساق السيوطي جملة أحاديث من رواية الحسن البصرى عن على رحمهما الله وبلنا فقد ثبت أخذ الحسن البصرى من الإمام على رضى الله عنه نقلاً وعقلاً وتحقيقاً والحمد لله رب العالمين .

(١) قال العلامة الفاضل والشيخ الكامل / محمد الحافظ التجانى رحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه :

رؤية اليقظة من الممكنات التى تدخل تحت القدرة الإلهية ، والقاعدة التى جرى عليها المحققون من علماء المذاهب المختلفة ، أن الممكن الذى يدخل تحت القدرة الإلهية لا يمكن إخراجه عن هذا الإمكان إلا بنص صريح .

وكل ما جاء به المنكرون لرؤية اليقظة من حجج لا تعتبر حججاً قطعية ولا ظنية ، وإنما هى أمور إقناعية.ولم يختلف العلماء فى أن رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة والتلقى عنه وهو فى الدار الآخرة ـ بوجه لا يترتب عليه محال ـ يعدُّ من الممكنات التى يجوز أن يتفضل الله بها على من يشاء من عباده ، فليس ثمة ما يحيل ذلك لا عقلاً ولا شرعاً ، فلا يزال الإمكان العقلى والشرعى قائما فى وجوه أولئك المنكرين .

وفى صحيح البخارى (٣٩٩/١٢) عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من رآنى فى المنام فقد رآنى فإنّ الشيطان لا يتخيل بى ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : «من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى» ونحوه عن مسلم وأحمد وأبى داود والترمذى والطبرانى والبزار . =

= ولما كان عالم النوم تكون الروح فيه متشحة بردائها البرزخي ـ بعد خلعها لهذا الرداء المادى ـ فلها حكم البرزخ إذ ذاك ، ولذلك تلتقى بأرواح أهله وتتذاكر معهم كما ورد فى السنة ـ وتأخذ عنهم ما قدر لها ، فمن خلع هذا الرداء الجسدى ولم يتقيد به وتجرد عنه حتى كانت روحه فى عالم البرزخ فذاك حاله عين حال النائم ، وإن ظن حاله غير حاله ، فإن الجسد بحواسه ـ أذنا وعينا ـ لا اشتراك له إذ ذاك فيما يصل إليه ، وإنما هو أمر روحانى برزخى بعيد عن المادة واختصاصاتها ، والروح فى هذا الانسلاخ عن البشرية تباشر ما تباشر ، من غير وساطة أى حاسة من حواسها الجثمانية فما يلقي إليها إذ ذاك هو هو وحالتها هى هى خارجة عن نطاق القيد المادي فحكمه حكم ما يلقى في النوم سواء بسواء ، والميزان هو الشريعة ومطابقته لها هى الحجّة وما خالف ذلك فلا يعمل به

وأصل رؤية اليقظة ودليلها :

أولاً : اجتماع النبى ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء عليهم السلام وهم فى الدار الآخرة وكان الكليم سيدنا موسى عليه السلام سبباً فى تخفيف الصلوات عن هذه الأمة وهو فى الدار الآخرة .

ثانياً : ما رواه الطبرانى بسند حسن عن ضمرة بن ثعلبة أنه أتى النبي ﷺ فقال : أُدعُ الله لى بالشهادة . فقال النبى ﷺ : اللهمّ حرّم دم ابن ثعلبة على المشركين والكفّار . قال فكنت أحمل فى عرض القوم فيتراءى لي النبى ﷺ خلفهم . فقيل : يا ابن ثعلبة إنك لتغرر وتحمل علي القوم !! فقال : إنّ النبي ﷺ يتراءى لي خلفهم ، فأحمل عليهم حتى أقف عنده لم يتراءى لى أصحابى فأحمل حتى أكونَ مع أصحابى . قال : فعمرَ زمانا طويلاً من دهره .

ثالثاً : صح أن سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنفذ وصية ثابت بن قيس بن شماس وقد أوصى بها بعد استشهاده .

وقد رأى سيدنا عثمان رضى الله عنه رسول الله ﷺ فى المنام فأخبره أنه مقتول غداً وقتل فعلاً فى ذلك اليوم ، وهذا يثبت أن روح الحى تجتمع بأرواح الأموات فى النوم ، والذى يجمعهم فى النوم يجمعهم فى اليقظة ، والجميع تحت سلطانه .

رابعاً : قوله فى الحديث « فسيرانى فى اليقظة » أى بعينى رأسه وقيل بعينى قلبه =

(وذكر) شيخنا أن سند تلقين الذكر يُذكر للمريد بعد تلقينه وسند لبس الخِرْقَة يُذكر قبل لبسها وقال لى : على هذا درج السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم أجمعين أ هـ. من مدارج السالكين .

(واعلم) أن أصل العهد قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الذّينَ يُبايعُونك إنّما يُبايعُون الله** ﴾ (١) الآية . وفِعْلُه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم .

(واعلم) أن للعهد معنيين : لغوياً وشرعياً فمعناه لغة : التزام شيء ليوفى به فى المستقبل حقاً كان أو باطلاً ، ومنه تعاهد بنو فلان على كذا . وشرعا : التزام قُرْبة دينية ، كالتزام الصحابة رضى الله تعالى عنهم أنهم يحمون رسول الله ﷺ بأرواحهم وأولادهم وأموالهم .

= قاله ابن حجر فى آخر الفتاوى ، وقال أبو بكر بن العربى : ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة ، وممن قال برؤية اليقظة كذلك الحافظ ابن أبى جمرة والحافظ السيوطى وأفرد لها تأليفاً مستقلاً « تنوير الحلك فى جواز رؤية النبى والملك » والإمام الغزالى وابن العربى المالكى وابن الحاج والقرطبى والقسطلانى والنبهانى والقطب المكتوم أبو العباس أحمد التجانى وغيرهم من أعلام الشريعة وأقطاب الحقيقة رضى الله عنهم أجمعين أ. هـ ملخصاً من « علماء تزكية النفس » للشيخ محمد الحافظ التجانى رضى الله عنه .

(١) سورة الفتح آية : ١٠

(واعلم) أن العهد لا يؤخذ إلا على أهل الصدق والرغبة التامة فى طريق القوم ، إذ هو ميثاق وإلزام ولا يكون إلا لأهل الصدق التام وأما غيرهم فلهم التلقين المجرّد عن العهد .

(واعلم) أن التصوف المتقدم ذكره عُرِّف أيضاً بتعاريف أُخرْ منها أنه الجد فى السلوك إلى ملك الملوك مع الأخذ بالأحوط من الأحكام ، بمعنى أن أهله يتباعدون عن العمل بالمسئلة التى فيها خلاف بالجواز والكراهة ويعملون بالمتفق عليه الوارد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بصريح السنة لأن وجود القول بالكراهة وبالأولى الحرمة قاض على ذوى الألباب بالبعد عنه ، بل يتباعدون عن العمل بخلاف الأولى لقول النبى ﷺ «فمن اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه »[1] ولذا قالوا : الصوفية قعدوا على الدعائم الأصلية ووقف غيرهم على الرسوم ، ومن هنا فازوا فوزاً عظيماً وبلغوا من الكمالات ما لم يصل إليه غيرهم . ولكن لا سبيل لك أيها الإنسان إلى ذلك إلا بمجاهدة النفس ليلاً ونهاراً بهمة قوية . مع الإخلاص التام لرب البرية . حتي تتمزق حجب النفس الظلمانية . وتتبدل بالأنوار والمعارف العليّة .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١١/٢٧) . نووى . ولفظه « فمن اتقى الشُّبهات استبرأ لدينه وعرضه » ، ورواه البخارى فى كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه (١/١٥٣) فتح . ولفظه : « فمن اتقى المشبّهات استبرأ لدينه وعرضه » . ورواه أحمد فى مسنده (٤/٢٦٩ ، ٢٧٠) بنحوه .

أطوار النفس

وذلك أن النفس وإن كانت واحدة ولكن تختلف باختلاف صفاتها وتسمى بسبعة أسماء (الأول) الأمارة بالسوء [١] ذات الحجب الظلمانية . والشهوات والمهالك الشيطانية . (الثانى) اللوّامة كثيرة اللوم[٢] على صاحبها بعد الوقوع فى المخالفة وحجابها الأنوار إذ ليست كثيفة . (الثالث) الملهمة[٣] التى عرفت فجورها وتقواها وصاحبها فى مقام الأسرار يغلب عليه الرشاد والبعد عن الفساد ولكنها صاحبة دسائس خفية ربما أوقعته فى مضرات قوية . (الرابع) المطمئنة[٤] وحالها أول الكمال متى وضع المريد قدمه فيه عدّ من أهل الطريق ، وظهرت عليه علامات أنه للفلاح صديق . (الخامس) الراضية[٥] ومقامها مقام الوصال

---

(١) وإليها الإشارة فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ النفْس لأمارة بالسُوء ﴾ يوسف : ٥٣ ويناسبها ذكر : لا إله إلا الله .

(٢) وإليها الإشارة فى قوله تعالى : ﴿ولا أقسم بالنفْس اللّوامة ﴾ القيامة : ٢ ويناسبها ذكر : الله.

(٣) وإليها الإشارة فى قوله تعالى : ﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فُجورها وتقْواها ﴾ الشمس : ٨ ـ ويناسبها ذكر : هو .

(٤) وإليها الإشارة فى قوله تعالى : ﴿يا أيتُها النفْسُ المُطمئنة ﴾ الفجر : ٢٧ ويناسبها ذكر : حق.

(٥) وإليها الإشارة فى قوله تعالى : ﴿ ارْجعى إلى ربِّك راضية ﴾ الفجر : ٢٨ ويناسبها ذكر : حى .

والفناء ، صاحبها مشغول بربه عز وجل كثير الرضا بالقضاء ، غريق فى عبادة رب الأرض والسماء ، ولكن ربما أصابها خفيف الداء (السادس) المرضية[1] ذات مقام تجليات الأفعال فلا يرى صاحبها صدور الأفعال إلا من الله تعالى فلا يعترض على أحد بعين الحقيقة لمشاهدته أن الأمر كله منه وإليه سبحانه وتعالى (السابع) الكاملة[2] : ومقامها مقام تجليات الأسماء والصفات فهى بمعالى الفضائل والفواضل حافلة ، وذلك أنها فوق الفوق ، ومعارفها فى نهاية تمام الشروق .

* * *

(١) وإليها الإشارة في قوله تعالى : ﴿ ارْجِعِى إلى ربِّك راضيةً مَرْضِيَّةً ﴾ الفجر : ٢٨ ـ ويناسبها ذكر : قيوم .

(٢) وإليها الإشارة فى قوله تعالى : ﴿ فادْخلى فى عبادى ... ﴾ الفجر : ٢٩ ـ ويناسبها ذكر : قهار .

قال سيدى أحمد الدرديرى رضى الله عنه : « واعلم أن الأسماء السبعة على عدد النفوس السبعة أى أطوار النفوس السبعة فلكل واحدة يناسبها من الأسماء ما يقتضى فناءها عن صفاتها المذمومة وتمزيق حجبها الحائلة بينها وبين مشاهدة الحق تبارك وتعالى» .

وعلى العموم فللسادة الصوفية فى الذكر مشارب وأذواق شتى وسبحان من ألهم ، وجل جلال من هدى وعرّف .

نصيحتى إليك

(واعلـم) أيهـا المريد أنك لا يمكنك الخـلاص من أوحـال النفس إلا بجـهـد شـديد . فـلا تتـحـول من مـقـام إلى مـقـام ، إلا بخالص العبادة على الدوام ، حتى تتبدل لحومك والجلود ، بنشأة ممزوجة بأنوار مراقبة المعبـود ، فتثـمر مِسْكيَات الأسـرار والفـلاح المنتشر ، وينادى منادى التجلى هاهى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، إذ المجاهدة الركن المهم الذى عليه المدار ، وجماَع الخير منوط بهـا فى هذه الدار وتلك الدار . ومن أجل ذلك قـالوا : المجاهدة توجب المشـاهدة ، ومن لم يحرق البـداية ، لم تشـرق له نهاية ، خصوصاً القيام فى الأسحار على قدم السداد ، فإنه ينابيع خِلَع القـبـول والرضـوان وقـضـاء المراد ، ولذا قـالوا كـثـرة النوم والغفلات ، توجب الحرمان والحسرات ، وجعِلوا سهر الليل فى الطاعة من أهم أركان الوصول ، وقالوا ما حرِموا الوصول إلا من تضييع الأصول .

فعليك أيهـا الإنسـان بالمجاهدة العلية . إذا أردت أن تثبت لك الإنسانية . بالمواظبة على أداء الأوراد ، ولا سيما الذكر بالأسحار فإنه لك أعظم دواء وأجل زاد . ومن الأوراد قـراءة سـورة الفـاتحة وتبـارك الملك وقل يا أيها الكافرون فى الظهر والعشاء . والفـاتحة

وعم يتساءلون وإذا جاء بعد العصر . وورد سحر آخر الليل والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ صباحاً ومساء ، وورد الستار ضحى . وحزب البر والبحر والمسبعات وحزب النووى وحزب الدسوقى ووظيفة سيدى أحمد زروق وحزب البيومى وختم الصلاة وصلاة التسابيح والضحى والتهجد ونحو ذلك من الأوراد المشهورة ، فمن قدر على شيء منها طُلب منه فعله وغاية ما نقول: إنك أيها الصديق مأمور بفعل كل خير ومنهى عن كل شر فإذا فعلت ذلك على وجه الاحتياط ناسب أن يطلق عليك اسم الإسلام والتصوف والتقوى ولكن لا وصول لك إلى ذلك إلا بالتمسك بالعمل بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم صفوة السيد المالك ، ولذا قالوا : السعادة كل السعادة ، فى العمل بالسنة ولو فى أمور العادة ، فعليك بالعمل بها أيها المريد ، فى الحركات والسكنات وكل ما تريد ، ولا تغتر بكثرة من يخالفها من الهالكين ، فإنهم أخساء أشقياء استحوذت عليهم الشياطين ، فلا تقتد بهم ولا تسمع مقالهم ولا تجتمع بهم واحذرهم ولو كانوا مشايخ إسلام . وعليك بالعلماء العاملين بسنة خاتم النبيين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فإنهم هداه الأنام والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

* * *

فهرس أطراف الأحاديث الواردة في الكتاب

* * *

فهرس الأعلام

الاسم	صفحة

قائمة المراجع

١ ـ الأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية لسيدى عبد الوهاب الشعرانى ٩٧٣هـ ـ دار جوامع الكلم ـ ط(٢) سنة ١٩٨٧ .

٢ ـ إيقاظ الهمم بشرح الحِكم للعلامة أحمد بن عطاء الله السكندرى شرح أحمد بن عجيبة ١٢٢٤هـ ـ الحلبى ط(٣) ١٩٨٢.

٣ ـ البرهان الجلى فى تحقيق انتساب الصوفية إلى على . للسيد أحمد بن الصديق الغمارى ـ ط (١) ١٩٦٩

٤ ـ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى للعلامة محمد بن عبدالرحمن المباركفورى ١٣٥٣هـ ـ دار الكتب العلمية ١٩٩٠.

٥ ـ الترغيب والترهيب للعلامة عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ٦٥٦ هـ تحقيق مصطفى عمارة ـ إحياء التراث العربى ١٩٦٨

٦ ـ تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ٨٥٢هـ ـ تحقيق د. محمد عوامة ـ دار الرشيد حلب ١٩٨٦.

٧ ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ٧٩٥هـ ـ دار

الحديث ط (٥) ١٩٨٠

٨ ـ جامع كرامات الأولياء ـ العلامة النبهاني ١٣٥٠هـ ـ تحقيق إبراهيم عطوة ـ مصطفى الحلبي ط (٢) ١٩٧٤

٩ ـ الحاوى للفتاوى ـ جلال الدين السيوطي ٩١١هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١٠ ـ الدين الخالص ـ الشيخ محمود خطاب السبكى ١٩٣٣م ـ المكتبة المحمودية ـ ط (٤)

١١ ـ الرسالة البديعية فى الرد على من طغى فخالف الشريعة ـ الشيخ محمود خطاب السبكى ١٩٣٣م ـ المكتبة المحمودية .

١٢ ـ الرسالة القشيرية أبو القاسم عبد الكريم القشيرى ٤٦٥هـ ـ تحقيق د. عبد الحليم محمود ـ الشيخ محمود الشريف ـ مطبعة حسان ١٩٧٢

١٣ ـ سنن النسائى ـ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى ـ تحقيق عبد الفتاح أبو غدّة ـ مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ١٩٨٦

١٤ ـ شرح السنة ـ الإمام البغوى ٣١٧ هـ .

١٥ ـ صحيح مسلم ـ شرح النووى ٦٧٦ هـ ـ دار الريان للتراث ١٩٨٧.

١٦ ـ الطبقات الكبرى ـ الإمام عبد الوهاب الشعرانى ٩٧٣هـ ـ مكتبة صبيح ـ القاهرة .
١٧ ـ علماء تزكية النفس ـ العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجانى ١٩٧٨م ـ المكتبة التجانية ـ القاهرة ١٩٧٨ .
١٨ ـ عوارف المعارف ـ عبد القاهر أبو النجيب السهروردى ١١٦٨هـ ـ دار الكتاب العربى ط (٢) ١٩٨٣
١٩ ـ عون المعبود شرح سنن أبى داود ـ شمس الحق العظيم آبادى ـ الكتب العلمية ١٩٩٠م .
٢٠ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ٨٥٢هـ ـ الريان للتراث ١٩٨٦م .
٢١ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ الحافظ محمد عبدالرؤوف المناوى ١٠٣١هـ .
٢٢ ـ لمحات من تاريخ الإمام محمود خطاب السبكى ١٩٣٣م ـ د. عبد العظيم حامد خطاب ـ دار الاعتصام ١٩٨٥م .
٢٣ ـ المقامات العلية فى النشأة الفخيمة النبوية للإمام محمود خطاب السبكى ١٩٣٣ ـ ط (٣) ١٩٧٣م .
٢٤ ـ المنهل العذب المورود شرح سنن أبى داود للعلامة محمود خطاب السبكى ١٩٣٣ ـ مطبعة الاستقامة ١٣٥١هـ .
٢٥ ـ النصيحة النونية للإمام محمود خطاب السبكى ١٩٣٣م ـ المكتبة المحمودية .

محتويات الكتاب